الهجرة النبوية

دراسة تحليلية

في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية

الدكتورة

هدبة عطية زايد

المدرس بقسم الحديث بكلية الدراسات الإسلامية والعربية

للبنات بالمنصورة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين له الحمد فى الأولى والآخرة ، وله الحكم واليه ترجعون وأشهد أن لا اله إلا الله ولى المتقين ، وخالق الخلق أجمعين ورازقهم.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله وصفيه وخليله أرسله ربه رحمة للعالمين فشرح به الصدور ، وأنار به العقول ، وفتح به أعينًا عميًا وآذانًا صمًا ، وقلوبًا غلفًا ، فجزاه الله تعالى أفضل ما جزى به نبيًا عن أمته .

إن حادث الهجرة والإعداد له كله عبر خالدة ودروس نافعة لأن الهجرة لم تؤتى ثمارها، إلا بعد صراع مرير بين لإيمان والوثنية، وبعد صبر وجلد ودأب من صاحب الدعوة،وإيمان ويقين ممن أسلم وجهه لله وتحمل شدة الأذى من كفار قريش، دون أن يسمح الله لهم بالرد عليهم ،لأنه سبحانه أمرهم بالكف عنهم وهم فى مكة، فكانت العاقبة خير للذين آمنوا وحقق الله سبحانه وعده بالتمكين لهم فى الأرض وفقا لقوله تعالى :﴿**إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ {٣٨} أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ{٣٩} الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ{٤٠} الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأمور**﴾الحج٣٨-٤١

ومن هنا كانت الهجرة قومة لله رب العالمين تجلت فيها معالم البناء ، والتعمير ، والتغيير والإعجاز، ورفض الواقع والتصدى له، وخلع ثياب الجاهلية ، والاتزار بثياب الإسلام، والتزمل بعباءته ومقاومة حالات الضعف واليأس ، والانهزام النفسي ، والارتجالية والعشوائية، و إعلام الدنيا أن الإسلام دين نظام وتخطيط ،قراءة للواقع وفهمه فى ضوء ما هو متاح، فلا عمل بدون تخطيط، ولا

تخطيط لا يبنى عليه عمل.

ثم يعلم الإسلام أبناءه من خلال الحدث أهمية تقدير كل أمر قدره، وتحديد الأهداف متنوعة الآجال ، واقامة مجتمعهم على قواعد وأصول يعرف من خلالها كل فرد الذى عليه قبل الذى له.

ولذا كان من أسباب اختباري لموضوع البحث ما يلي : -

أولا : إن حادثة الهجرة تمت بتخطيط من الرسول ﷺ و إعداد ، مع صدق التوكل على الله فأعطت أحسن نتائجها ، وهى قيام دولة الإسلام لأول مرة وانتشار دعوته و إعلاء كلمة الله فى الأرض ... دون معوقات من خصوم الدعوة في الأرض التى بدأت فيها إلى الأرض التي انطلقت منها بتآخي المهاجرين الأنصار الذين شهد لهم الله بأنهم المؤمنين حقا.

ثانيا : الدروس والعبر لمن أراد أن يستفيد منها ، وأن يسلك سبيلها ليعيد سيرتها الأولى ، لأنها تعاليم خالدة باقية مستمر ة لمن أحسن الأخذ بها التزاما وسلوكا .

ثالثا : أن من يهاجر من بلد مخلصا دينه لله فإن أجر ما يصيبه في ذلك على الله توفيقا مع قوله تعالي ﴿ **وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللّهِ وَكَانَ اللّهُ غَفُوراً رَّحِيما** ﴾ النساء / ١٠٠

هذا وقد قسمت هذا البحث إلى ثلاثة فصول : -

الفصل الأول : فضل الهجرة والترغيب فيها

وينقسم إلى عدة مباحث :

المبحث الأول فضل الهجرة في الإسلام .

المبحث الثاني : التعريف بالهجرة وأقسامها .

المبحث الثالث : الهجرة في القران الكريم .

المبحث الرابع : الهجرة في السنة النبوية.

الفصل الثاني : التخطيط للهجرة

وينقسم إلى عدة مباحث :-

المبحث الأول : معني التخطيط.

المبحث الثاني : ملامح التخطيط فى الهجرة.

المبحث الثالث : فضل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار وجزاؤهم

المبحث الرابع : المدينة وأسس البناء للمجتمع الجديد.

الفصل الثالث : التأريخ بالهجرة النبوية

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : سبب التأريخ بالهجرة النبوية .

المبحث الثاني : الأثر الإيماني للهجرة النبوية.

وبعد...

فإن موضوع الهجرة قد أخذ بعض تفكيري فترة من الزمن ، وكان مني هذا البحث المتواضع ، ولا أعتقد أنني أوفيته حقه، ولكنه جهد بذلته في سبيل إنارة بعض جوانبه والله أسأل أن يجعله خالصا لوجه الكريم ، وان تكون هجرتنا إلى الله دائمة غير منقطعة

والله من وراء القصد وهو سبحانه حسبي ونعم الوكيل

الفصل الأول : فضل الهجرة والترغيب فيها

المبحث الأول : فضل الهجرة

تمر بنا ذكرى الهجرة النبوية كل عام قل من يستعيد ذكراها بتدبر أحداثها وما هدفت إليه ، وكيف تم الإعداد لها ، وكيف تقبلها المسلمون واستعدوا لها وكيف كان الإجماع عليها حتى لم يبق فى مكة أحد يستطيع الهجرة إلا هاجر، وهل جاءت هكذا عرضا بسبب موقف قريش من الرسول ﷺ ممن أسلم معه أم جاءت نتيجة تخطيط مسبق ، وكيف بدأت أولا بالهجرة إلى الحبشة، وثانيا بالهجرة إلي المدينة وهى الهجرة الكبرى للنبى ﷺ و أصحابه الكرام من مكة إلي المدينة،بداية الإنطلاق وأولى مراحل التغيير .

فهذه الهجرة مختلفة الأبعاد ، عالية النفع، وسامية القدر .

إذ كان كل شيء بآثاره الجليلة النافعة ، فأثار الهجرة النبوية لا تتوقف عند حد ، ولا يحصيها عد .

وإذا كان من المسلمات أن القرآن معجزة الإسلام الخالدة عقيدة وشريعة ، فإن الهجرة معجزته الخالدة تجديدا وبناء وتعميرا .

إن سر الإعجاز فى الهجرة يكمن فى عبقرية البناء ، بناء دولة وسط بيئة مليئة بالجهل والكفر والضلالات .

ومن هنا أقول : إن البحث فى موضوع الهجرة يتطلب منا أن نتعرف على السبب أو الباعث عليها ، لأن الهجرة فى مفهومها العام هو: ترك الديار التي يستوطنها الإنسان إلي ديار غيرها ، وقد ابتدئت فى الإسلام بهجران بلد الشرك ، وكانت آنئذ مكة ، والانتقال إلي بلد الإسلام وهى المدينة مهجر رسول الله ﷺ .

والهجرة تحكمها النية لأن الانتقال من بلد إلى آخر قد يكون لغير الظاهر الذي يبدوا للآخرين ، وقد جاء حديث رسول الله ﷺ يوضح أن الأعمال بالنيات لا بظواهرها .

عَنْ عُمَرَ بن الخطَّاب - ﷺ - أَنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ : " الأَعْمَالُ بِالنِّيَّة، وَلِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّه وَرَسُوله ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّه وَرَسُوله ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لدُنْيَا يُصِيبُهَا أَو امْرَأَة يَتَزَوَّجُهَا ،

فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ" (١).

قال ابن حجر – رحمه الله – : " وقد وقعت الهجرة في الإسلام على وجهين : الأول الانتقال من دار الهجرة من مكة إلى المدينة . والثاني الهجرة من دار الكفر إلى دار الإيمان وذلك بعد أن استقر النبي ﷺ بالمدينة إلى أن فتحت مكة فانقطع الاختصاص ، وبقي عموم الانتقال من دار الكفر لمن قدر عليه باقيا " (٢).

وبهذا الحديث صدر الإمام البخاري (٣). صحيحه ، وأمَّه مقام الخطبة له ، إشارة منه إلى أن كل عمل لا يراد به وجه الله فهو باطل ، لا ثمرة له في الدنيا ولا في الآخرة ، وأن الرسول ﷺ أخبر أن الهجرة تختلف باختلاف المقاصد والنيات ، فمن هاجر إلى دار الإسلام حبا لله ورسوله ، ورغبة في تعلم أحكام الدين ، والتفقه فيه ، وإظهاره لنا بسلوكه وتصرفاته بعد أن كان عاجزا عن ذلك من قبل هجرته ، فهذا هو المهاجر إلى الله ورسوله حقا .

ومن كانت نيته في الهجرة إلى غير ذلك فهجرته إلى ما هاجر إليه .

وروي عن ابن عباس – رضي الله عنهما – في قوله تعالى :﴿ **يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلا يَسْرِقْنَ وَلا يَزْنِينَ وَلا يَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ وَلا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ { الممتحنة : ١٢٣ }

---

١) البخاري في كتاب : الإيمان ، باب : ما جاء أن الأعمال بالنية ١/٣٠ ح٥٤ ، وأخرجه أيضا في العتاق والطلاق ، باب : فيمن عني به الطلاق والنيات ٢/٢٦٢ ح٢٢٠١ ، والترمذي في كتاب : فضائل الجهاد عن رسول الله ٤/١٧٩ ح١٦٤٧ وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ، والنسائي في كتاب الطلاق، باب : الكلام إذا قصد به فيما يحتمل معناه ٦/١٥٨ ح٣٤٣٧ ، وابن ماجه في كتاب : الزهد ، باب : النية ٢/١٤١٣ ح٤٢٢٧ .

٢) فتح الباري ١/٢٣ .

٣) الإمام الحافظ محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري صاحب الجامع الصحيح والتاريخ الكبير والأدب المفرد وغيرها ، توفي سنة ٢٥٦هـ ينظر سير أعلام النبلاء ١٢/٢٣٩١ ، ومقدمة فتح الباري) .

قال : " كانت المرأة إذا أتت النبي ﷺ حلفها بالله ما خرجت من بغض زوج ، وبالله ما خرجت رغبة بأرض عن أرض ، وبالله ما خرجت التماس الدنيا وبالله ما خرجت إلا حبا لله ورسوله [١].

وذلك كان امتحان من هاجر من المؤمنات ، واختلف في استمرار حكم هذا الامتحان فقيل منسوخ ، بل ادعى بعضهم الإجماع على نسخه ، والله أعلم [٢] .

وديار الإنسان هي وطنه ، والوطن غال عليه ، وإن هجرة دون سبب يوجب ذلك غير وارد ، حتى أن الحيوانات وهي عجماوات لها تعلق بأوطانها ، ولا تغادرها إلى غيرها ما لم يعترضها عارض يفرض عليها هذه المغادرة ، وعلى الرغم من المغادرة المفروضة عليها فإننا نجد لديها حنينا إليها فيما إذا تمكنت من ذلك الاستقرار فيها .

ولهذا فإن هجرة الأوطان لا تكون دون باعث وإنما هناك دافع يتطلب من الإنسان أن يهجر وطنه لطلب السلامة في الدين أو البدن أو المال أو الأمن والسلامة ، ممن يتسلط عليه تضيقا وتعذيبا أو لطلب العيش فيما إذا ضاقت بالإنسان أسباب المعيشة إلى غير ذلك من الأسباب الدافعة إلى هجرة الديار [٣] .

والهجرة تعني الترك والبعد، والمتروك قد يكون شيئا ماديا وقد يكون شيئا معنويا فالأول كترك المكان إلى مكان آخر، والثاني كترك العصيان أو الكسل أو نحوهما[٤].

عَنْ عَبْدَ اللَّه بْنَ عَمْرٍو – رَضِيَ الله عَنْهُمَا – عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ " [٥].

---

١)مسند الحارث (زوائد الهيثمي) ٧٣/٢ ح٧٢٢ ، وتفسير الطبري ٦٧/٢٨ ، وتفسير ابن كثير ٣٥١/٤، وأيضا في جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي ١٤/١ ، دار المعرفة ، بيروت ط . الأولى ١٤٠٨هـ ، ومجمع الزوائد للهيثمي ٢٣/٧ ، وقال : رواه البزار ، وفيه قيس بن الربيع ، وثقة شعبه والثوري ، وضعفه غيرهما ، وبقية رجاله ثقات .

٢)فتح الباري ٤٢٥/٩ .

٣)الهجرة في الإسلام ، د / محمود محمد بابلتي ، ص١٥ – ١٦ ، (مرجع سابق) .

٤) بيان للناس ، الشيخ / جاد الحق ١/ ص٢٩٧ طبعة الأزهر الشريف .

٥)البخاري في كتاب : بدء الوحي ، باب : المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ١٣/١ح١٠ واللفظ له وأخرجه أيضا في كتاب : الرقاق، باب : الانتهاء عن المعاصي

فالهجرة ضربان : ظاهرة وباطنة ، فالباطنة : ترك ما تدعوا إليه النفس الأمارة بالسوء والشيطان ، والظاهرة : الفرار بالدين من الفتن ، وكأن المهاجرين خوطبوا بذلك لئلا يتكلوا على مجرد التحول من دارهم حتى يمتثلوا أوامر الشرع ونواهيه ، ويحتمل أن يكون ذلك قيل بعد انقطاع الهجرة لما حسَّنه قلة ، تطييبا لقلوب من لم يدرك ذلك ، لأن حقيقة الهجرة تحصل لمن هجر ما نهى الله عنه [1].

١٩٣/٤ ح٦٤٨٤ ، وأبو داوود في كتاب: الجهاد ، باب : الهجرة هل انقطعت ٤/٣ ح٢٤٨١ ، والنسائي في كتاب : الإيمان وشرائعه ، باب: صفة المسلم ١١٥/٨ ح٤٩٩٦ ، وأحمد في المسند ١٦٣/٢ ح٦٥١٥ .

١) عون المعبود ١١٣/٧ – ١١٤ .

المبحث الثاني : تعريف الهجرة وأقسامها

الهجرة لغة :

الخروج من أرض إلى أرض غيرها ، وترك الأولى للثانية : وأصل المهاجرة عند العرب خروج البدوي من باديته إلى المدن ، يقال : هاجر الرجل إذا فعل ذلك .

والهجر ضد الوصل ، هجره يهجره هجرانا : صرمه أو قاطعه . يعني فيما يكون بين المسلمين من عتب وموجدة ، أو تقصير يقع في حقوق العشرة والصحبة دون ما كان من ذلك في جانب الدين[١].

الهجرة في الاصطلاح :

الهجرة : هي ترك الوطن الذي بين الكفار ، والانتقال إلى دار الإسلام .[٢]

وهي الخرج من دار الكفر إلى دار الإيمان لمن هاجر من مكة إلى المدينة قيل : ومقتضى ذلك هجران الشهوات ، والأخلاق الذميمة والخطايا وتركها ورفضها.[٣]

والمهاجرون الذين ذهبوا تبع النبي صلى الله عليه وسلم مشتق منه .

سموا بذلك ، لأنهم تركوا ديارهم ومساكنهم التى نشأوا بها لله تعالى ، ولحقو بدار ليس لهم بها أهل ولامال.

والظاهر من معنى الكلمة الخروج من دار الكفر إلى دار الإيمان كمن هاجر من مكة إلى المدينة.

وإذا أطلقت أريد بها هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه

---

١) ينظر : لسان العرب ٢٥١/٢٥ . ،مختار الصحاح للرازي : ٨٥١/٢ .

٢) التعريفات للجرجاني ٣١٩/١ (مصدر سابق) .

٣) المفردات للراغب ، ص ٥٧٣ (مصدر سابق) .

أقسام الهجرة :

قال ابن الأثير [١] – رحمه الله – : الهجرة هجرتان : إحداهما التي وعد عليها الجنة في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمْ الْجَنَّةَ ﴾ { التوبة : ١٠١ }

فكان الرجل يأتي إلى النبي ﷺ ويدع ماله وأهله ولا يرجع في شيء منه، وينقطع إلى مهاجرة ، وكان الرسول ﷺ يكره أن يموت الرجل بالأرض التي هاجر فيها، ولذلك قال عن سعد بن خولة[٢] : " لكن البائس سعد بن خولة يرثى له [٣] رسول الله ﷺ أن مات بمكة"[٤].

وقال أيضا حين قدم مكة " اللهم لا تجعل منايانا بها حتى تخرجنا منها " [٥].

---

١)ابن الأثير الإمام الحافظ عزالدين أبو الحسن علي بن الأثير أبي كرم الشيباني المحدث اللغوي صاحب التاريخ ومعرفة الصحابة والأنساب و غير ذلك، ولد سنة ٥٥٥ هـ ، ومات في سنه ثلاثين وستمائه (طبقات الحفاظ للسيوطي ٤/٤٩٥ ، ٤٩٦) .

٢)سعد بن خولة من بني عامر بن لؤي ، كان من عجم الفرس وكان من مهاجرة الحبشة الهجرة الثانية ، مات بمكة في حجة الوداع (الاستيعاب لابن عبد البر ٢/٥٨٨ ، والإصابة لابن حجر ٣/٥٣)

٣)قوله : " يرثى له رسول الله ﷺ أن مات بمكة " قال العلماء هذا من كلام الراوي وليس هو من كلام النبي ﷺ بل انتهى كلامه ﷺ بقوله لكن البائس سعد بن خولة ،فقال الراوي تفسيرا لمعنى هذا الكلام أنه يرثيه النبي ﷺ ويتوجع له ويرق عليه لكونه مات بمكة ، قال القاضي : وأكثر ما جاء أنه من كلام الزهري (شرح النووي على صحيح مسلم) ١١/٨٢

٤)البخاري في كتاب: الجنائز ، باب : رثاء النبي ﷺ سعد بن خولة ١/٣٤٥ ح١٢٩٥ عن سعد بن أبي وقاص وفي أوله قصة وأخرجه أيضا في كتاب مناقب الأنصار ، باب : قول النبي ﷺ " اللهم أمضي لأصحابي هجرتهم " ٢/٥٠١ – ٥٠٢ ح٣٩٣٦ وأيضا في كتاب المغازي ، باب : حجة الوداع ٣/١١٧ ح٤٤٠٩ ، وأبو داوود في كتاب : الوصايا ، باب : ما جاء في ما لا يجوز للموصي في ماله ٣/٣٣ ح٢٨٦٤ ،والترمذي في كتاب : الوصيا ، باب : ما جاء في الوصية بالثلث ٤/٤٠ – ٤١ ح٢١٢٣ ، وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن .

٥)أحمد في المسند عن ابن عمر ٢/٢٥ ح٤٧٧٧ وقال الشيخ أحمد شاكر إسناده صحيح ٧/٩ رقم ٤٧٧٨ ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٥/٢٥٣ وقال : رواه أحمد والبزار ورجال أحمد رجال الصحيح .

والحديث الأول يوضح :

أن الرسول ﷺ لم يحزن على سعد بن خولة لأنه مات في الأرض التي هاجر منها لأنه لم يهاجر كما ظن بعض من لا يعلم ذلك لأن سعد بن خولة ممن شهد بدرا ثم انصرف إلى مكة مختارا فمات بها [١].

والمعنى في الحديث الثاني :

أنه ﷺ كان يكره أن يموت هو أو أحد من المهاجرين بمكة حتى تثبت لهم هجرتهم ، لأنه كان مهاجرا [٢].

فلما فتحت مكة صارت دار إسلام كالمدينة وانقطعت الهجرة .

والهجرة الثانية من هاجر من الأعراب وغزا مع المسلمين ولم يفعل كما فعل أصحاب الهجرة الأولى فهو مهاجر ، وليس بداخل في فضل من هاجر تلك الهجرة وهو المراد بقوله ﷺ " **لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة** " [٣].

فهذا وجه الجمع بين الحديثين وإذا أطلق في الحديث ذكر الهجرتين فإنما يراد بها هجرة الحبشة والمدينة [٤].

كما تنوعت الهجرة باعتبار المكان الذى انتقلوا إليه فإنها تتنوع كذلك الى هجرة عامة تلك التى مر ذكرها ، وقد انقطعت بفتح مكة.

ثم الهجرة الدائمة الملازمة للمكلف ، تلك التى سيظل بابها مفتوحا لأن بواعثها باقية دائمة ، ككل هجرة تقع فرارا بالعقيدة .

عَنْ قَيْسِ بن أبي حازم قَالَ : بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

١) ينظر : التمهيد لابن عبد البر ٣٩٢/٨ ، تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي ، وزارة عموم الأوقاف والشئون الإسلامية ، المغرب ، الديباج للسيوطي ٢٢٤/٤ دار بن عفان – السعودية ١٤١٦ – ١٩٩٦ .

٢) ينظر : التمهيد لابن عبد البر ٣٩٣/٨ ، وتحقيق الشيخ أحمد شاكر على مسند أحمد ٩/٧ .

٣) صحيح سبق تخريجه ص ١٢٣ .

٤) النهاية لابن الأثير ٢٢٤/٥ .

سَرِيَّةً إِلَى خَثْعَمٍ [١] فَاعْتَصَمَ [٢] نَاسٌ مِنْهُمْ بِالسُّجُودِ ، فَأَسْرَعَ فِيهِمُ الْقَتْلَ ، قَالَ : فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَرَ لَهُمْ بِنِصْفِ الْعَقْلِ [٣] وَقَالَ : " أَنَا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ يُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُشْرِكِينَ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّه لِمَ قَالَ لا تَرَاءى [٤] نَارَاهُمَا " [٥]

وقوله " ولا تراءى ناراهما " أي يلزم المسلم ، ويجب عليه أن يتباعد منزله عن منزل المشرك ، ولا يترك بالموضع إذا أوقدت فيه ناره تلوح وتظهر للمشرك إذا أوقدها في منزله، ولكنه ينزل مع المسلمين في دارهم ، وفي الحديث : كراهية مجاورة المشركين ، لأنهم لا عهد لهم ولا أمان ، وحث المسلمين على الهجرة .[٦]

ويقال إن أُوّل هذا : أن قوما من أهل مكة أسلموا وكانوا مقيمين بها على

---

١) خثعم مابين بيته وتربته (معجم البلدان ٢١/٢) .

٢) فاعتصم ناس منهم : أي طلبوا لأنفسهم العصمة بإظهار السجود (شرح السندي على سنن النسائي ٣٥٠/٤).

٣) بنصف العقل وذلك بعد علمه (ﷺ) بإسلامهم ، وجعل النصف الآخر لأنهم قد أعانوا على أنفسهم بمقامهم بين ظهراني بين الكفار وكانوا كمن هلك بجناية نفسه وجناية غيره فسقط حصة جنايته من الدية (المصدر السابق نفسه ٣٥٠/٤) .

٤)التراءي : تفاعل من الرؤية ، يقال : تراءى القوم إذا رأى بعضهم بعضا ، تراءى الشيء أي ظهر حتى رأيته (النهاية لابن الأثير ١٧٧/٢)

٥) أبو داود في كتاب : الجهاد – باب النهي عن قتل من اعتصم بالسجود ٣٩٤/٢ ج ٢٦٤٥ واللفظ له ، والترمذي في كتاب السير باب ما جاء في كراهية المقام بين أظهر المشركين ٢٢٣/٣ ح ١٦١٠ وقال أبو عيسى : وسمعت محمداً (البخاري) يقول : الصحيح حديث قيس عن النبي _ ﷺ _ مرسل ، والنسائي في كتاب : القسامة ، باب: القود بغير حديدة ٣٤٩/٤ ج ٤٧٩٤ ، والطبراني في الكبير ١١٤/٤ ح ٣٨٣٦ عن قيس بن أبي حازم عن خالد بن الوليد ، والبيهقي في شعب الإيمان ٤٠/١ح ٩٣٤٧ ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٥٣/٥ وقال رواه الطبراني ورجاله ثقات ، والبيهقي في السنن الكبرى ١٣١/٨ .

٦) النهاية لابن الأثير ١٧٧/٢ .

إسلامهم قبل فتح مكة فقال النبي _ ﷺ _ هذه القالة فيهم ثم صارت للعامة .[١]

هذا النوع يلتقى مع الهجرة العامة فى المعنى اللغوي أن الانتقال من أرض الظلم والفرار من أذى الظالمين .

والتقصير فيه كالتقصير فى سابقه ، لون من الهوان والاستكانة ....

وكل أصحاب هذه الهجرات لهم ثوابهم وأجرهم حسب نيتهم .

---

١) غريب الحديث لابن سلام ٨٩/٢ . بتحقيق د/ محمد عبد المعيد خان ، دار الكتاب العربي ، بيروت ط . الأولى ١٣٩٦هـ -

المبحث الثالث: الهجرة فى القران الكريم

تكررت كلمة **هجر** وما تصرف منها فى القران نحو ثنتين وثلاثين مرة ، كما تكررت بالمعنى الدال عليها فى مواطن كثيرة .

دراسة وتحليل لبعض آيات " **هجر** " فى القران :

١- وقد دلت استعمالات القران الكريم على أن الهجرة قد تكون بالبدن ،وباللسان ، وبالقلب ، أو ما هو شامل لذلك كله ، كأن تكون المفارقة شاملة للوجوه كلها فمن المفارقة بالبدن قوله تعالى:

﴿ **فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ** ﴾ النساء٣٤ فهو كناية عن عدم قربهن ومن المفارقة بالقلب قوله تعالى :{**وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً** }الفرقان ٣٠ فهذا هجر بالقلب، ويحتمل باللسان وترك العمل به وهو الأظهر . فإذا قرأه بلسانه ، ولكنه لا يعمل به فهذا هجر للقران .

ومن الوجوه الثلاثة للهجر بالبدن وباللسان وبالقلب

قوله تعالى : ﴿**لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيّاً** ﴾مريم / ٤٦ وقوله سبحانه : ﴿**وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ** ﴾.{المدثر : ٥}

كذا قوله تعالى:{**وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً** } المزمل / ١٠ فهذه الآيات محتملة للوجوه الثلاثة .

٢- وقوله تعالى **إِن الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءتْ مَصِيرًا * إِلا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنْ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلا * وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ**

وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾ النساء / ٩٧ – ١٠٠

الآيات دالة على فضل الهجرة والترغيب فيها وبيان عقوبة التهاون بين ممن فسدت ضمائرهم ففى جو الشهوات والفتن فكانوا كما وصفو ٠

تأتى هذه الآيات بعد حديث فياض ببيان ثواب المجاهدين ورفعة شأنهم ٠

وكلمت **تَوَفَّاهُمْ** قد تجعل ماضيا ، وعلى هذا تكون إخبارا عن حال قوم معروفين ، ويمكن جعله مستقبلا على معنى تتوفاهم ،وعلى هذا تكون الآية عامة فى حق كل من اتصف بهذه الصفة ٠

– لم توصف الآيات هذه المحاسبة فى صورة أحكام تقريرية بل ساقتها فى جو من الحوار الذى كشف عن الأجواء التى كانت تسود مكة ، وحال المتقاعسين عن الهجرة ، واعترافاتهم ، تاركة لهم فرصة لتبرير ما كان منهم ٠

– إن الحوار الذى حدد على هذا كله المصير ، وقرر النتيجة ، وما يتركه فى النفس من أن القعود عن الهجرة مع القدرة عليها جريمة ، وتهديد بسوء المصير ٠

– سؤال الغرض منه التوبيخ بأنهم لم يكونوا فى شىء من أمر الدين ٠

والمعنى : فى أى شىء كنتم من أمر دينكم ؟ أو فيم كنتم فى حرب محمد ، أو حرب أعدائه ٠ أو لما تركتم الجهاد ورضيتم بالإقامة فى دار الكفار ؟

فكان الاعتذار عما نجوا به " **قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ** " فنفوا عن أنفسهم القدرة على الهجرة ٠

والواقع أن هذه دعوى استضعاف ، وفرق بين الاستضعاف الدعوى أى ادعاء الضعف والحقيقة غير ذلك والاستضعاف الحقيقى ٠

فالمستضعف الذى قبل استضعاف غيره له ،وجعل من نفسه ضعيفا ٠

فهذا استضعاف دعوى ، لرضاه به إذ كان بمقدوره مقاومته ورفضه، وهؤلاء كان بمقدورهم الخروج والهجرة ، إلا أن الخوف على الأموال والديار ،

وشهوات النفس ، جعلهم يفضلون حياة الدعة والمسكنة والضعف ، والعجز ولذا لم تقبل الملائكة عذرهم وفى هذا دليل على هجران الأرض التى يعمل فيها بالمعاصي .

هكذا كان الحكم ، هجرة أماكن الفتنة ، كما فى قصة أصحاب السبت حين هجروا العاصين وقالوا لا نساكنكم وبهذا قال السلف رضى الله عنهم .

روى ابن وهب عن مالك انه قال: تهجر الأرض التى يصنع فيها المنكر جهارا ولا يستقر فيها واحتج بصنيع أبى الدرداء فى خروجه عن أرض معاويه حين أعلن بالربا فأجاز بيع سقاية الذهب بأكثر من وزنها [١]

وقال: " لا يحل لأحد أن يقيم بأرض يسب فيها السلف ".

قال ابن العربي : هذا صحيح ، فإن المنكر إذ لم تقدر أن تغيره فزل عنه ،

وقال سعيد بن جبير : إذا عمل بالمعاصي فى أرض فاخرج منها وتلا قوله تعالى : ﴿ **الَّذِينَ تَوَفَّاهُمْ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا * إِلا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنْ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلا** ﴾ { النساء : ٩٧ ، ٩٨ }

قوله ﴿ **أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا** ﴾ يقول : فتخرجوا من أرضكم ودوركم و تفارقوا من يمنعكم بها من الإيمان بالله واتباع رسوله ﷺ إلى الأرض التي يمنعكم أهلها من سلطان أهل الشرك بالله ، فتوحدوا الله فيها وتعبدوه وتتبعوا نبيه ، ثم استثنى جل ثناؤه المستضعفين الذين استضعفهم المشركون من الرجال والنساء والولدان وهم العجزة عن الهجرة بالعسرة ، وقلة الحيلة وسوء البصر والمعرفة بالطريق من أرضهم أرض الشرك إلى أرض الإسلام من القوم الذين أخبر – جل ثناؤه – " **مأواهم جهنم** " أن تكون مأواهم جهنم للعذر الذين هم فيه على ما يبينه تعالى ذكره .[٢]

---

١) تفسير القرطبى ٧ / ٣٩٢ ط دار الشعب القاهرة

٢) تفسير الطبري ٥/٢٣٣ .

لأنهم أصحاب استضعاف حقيقي .

وهم بحسب طبيعة عجزهم لا يقدرون على إيجاد حيلة ولانفقة ،فهم تحت ظروف قهرية مانعة لهم من الهجرة. الحيلة ماهى ؟ إنها المال الذى يساعدهم على النهوض الى المدينة والنفقة التى تقويهم على الهجرة وتجعلهم يهتدون السبيل [١] .

وهى إعمال الفكر بحيث يعطى الإنسان فرصة أكبر مما هو متاح له بالفعل .

هى فكر يعطى للإنسان قدرة فوق قدرته واللفظ فيها عام وشامل لكل أنواع التخلص .

والسبيل : سبيل المدينة ، أو هو عام كذلك .

إذاً أسقطت الآية الوعيد فى حق هؤلاء لهذه الأسباب

ومن الأسباب ما هو ذاتي ، ومنها ما هو طارئ يزول بزوال سببه .

وبه نلحظ سبب ذكر الرجال ، إذ قد يكون الرجل مملوكا لا يحق له التصرف.

وأما ذكر الولدان . وهم بطبيعة الحال ضعفاء ، فإن أريد بهم الأطفال فذكرهم على سبيل المبالغة فى أمر الهجرة ، وإيهام أنها بحيث لو استطاعها غير المكلفين لوجبت عليهم ، والإشعار بأنهم لا محيص لهم عنها البتة ، وأن قومهم يجب أن يهاجروا بهم.

ويجوز أن يراد بهم المراهقون البالغون فيلحقوا بالتالي بالمكلفين .

فإن قلت العجز أسقط التكليف ، وبه يسقط الوعيد لترتبه عليه ، فلما قال : عسي الله أن يعفو عنهم والعفو لا يتصور إلا مع ذنب ؟ ولما عبر بعسى وهى تفيد الإطماع؟

---

١) ينظر تفسير القرطبى ٥م ٢٣٥ ، ٢٣٧ ط دار الفكر وتفسير بن كثير ١ / ٥٤٣ ط دار الفكر وتفسير الجلالين ١ / ١١٩ ط دار الحديث القاهرة

قال القرطبي : " هذا الذى لا حيلة له في الهجرة لا ذنب له حتى يعفي عنه ولكن المعنى أنه قد يتوهم أنه يجب تحمل غاية المشقة في الهجرة ،حتى أن من لم يتحمل تلك المشقة يعاقب، فأزال الله ذلك الوهم، إذ لا يجب تحمل غاية المشقة، بل كان يجوز ترك الهجرة عند فقد الزاد والراحلة.

فمعنى الآية فأولئك :لا يستقصي عليهم في المحاسبة ولهذا قال : **"وكان الله عفوا غفورا"** والماضي والمستقبل في حقه تعالى سواء [1] .

وفائدة التعبير " بعسى " أن ترك الهجرة أمر مضيق فيه ، حتى إن المضطر البين الإضطرار من حقه أن يقول : عسى الله أن يعفو عنى ، فكيف بغيره ؟ إذاً لفظ العفو إيذانا بأن الهجرة تأكد وجوبها بحيث أن تاركها ممن تحقق عدم وجوبها عليه يخشى ذنبا يجب طلب العفو عنه رجاء وطمعا لا جزما وقطعا.

كما أن الإنسان لشدة نفرته عن مفارقة الوطن ربما ظن نفسه عاجزا عنها ، مع أنه لا يكون كذلك فى الحقيقة ، فلهذا ذكر العفو بكلمة الإطماع لا القطع .

وبكل فهو إطماع من كريم قادر ، وهى من الله إيجاب ، ومن العباد ظن .

ثم بعد ذلك تتحدث الآية عن :

المانع من الهجرة .

مكاسب الهجرة .

فما المانع .... ؟ أن يكون للإنسان فى بلده نوع راحة ورفاهية فيقول لو فارقت الوطن وقعت فى شدة وضيق العيش، فهو يريد أن يضيع رفاهية حاضرة .

الأمر الثاني : انه إن خرج مهاجرا قد يصل الى غرضه وقد لا يصل إليه ، فجاءت الآية جوابا عن الأمرين .

قال تعالى : ﴿ **وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ**

---

١) تفسير القرطبى ٣ / ١٩١٦

أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾النساء/ ١٠٠

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : " إن الله اخبر أن من هاجر في سبيله يجد في الأرض مضطربا ، ومتسعا ، وقد يدخل في السعة السعة في الرزق ، والغنى من الفقر ، ويدخل في السعة من ضيق الهم والكرب الذي كان فيه أهل الإيمان بالله من المشركين بمكة ، وغير ذلك من معاني السعة التي هي بمعنى الروح ، والفرج من مكروه ما كره الله للمؤمنين بمقامهم بين ظهراني المشركين ، وفي سلطانهم [١] .

وفي هذا تحريض على الهجرة وترغيب في مفارقة المشركين ، وأن المؤمن حيثما ذهب وجد عنهم مندوحة ، وملجأ يتحصن فيه [٢] .

ومن مكاسب الهجرة أن الله يعطى المهاجر أشياء تجعل من يستضعفه ويستذله يشعر بالخزى الى حد أن تكون أنفه فى الرغام ، وأنه وان كان قد ضيق عليه فعندما يهاجر سيجد سعة ورزقا ٠

ما معنى مرا غما ولم قدمه على السعة ؟

رغم ٠٠٠ الراء ، والغين ، والغين والميم أصلان :

أحدهما : التراب ٠ والثاني : المذهب

فالأول الرغام وهو التراب ٠ ومنه " أرغم الله أنفه " أى ألصقه بالرغام

والثاني : المراغم وهو المذهب والمهرب ٠ تقول : مالي عن هذا الأمر مرا غم أى مهرب ٠

فالمراغم : المذهب ، والمتحول ، والمتزحزح والمهاجر ، وكله قريب ٠

وهو اسم للموضع الذى يراغم فيه ، أن يرغم كل واحد من المتنازعين انف صاحبه، بان يغلبه على مراده ، فكأن كفار قريش أرغموا أنوف المحبوسين بمكة ، فلو هاجر مهاجر لأرغم أنوف قريش لحصوله فى منعة منهم فتلك المنعة هى موضع المراغمة ٠

---

١) تفسير الطبري ٢٤٢/٥ .

٢) تفسير ابن كثير ٥٤٣/١ .

إذاً- المفارقة علي كره منهم مذلة وإرغام لهم

- وحصول المفارق لهم على منعة إرغام لهم ، وما يجده المهاجر من الخير والسعة والنعمة إرغام لهم .

و إنما قدم ذكر رغم أنف الأعداء على سعة الرزق ،لأن ابتهاج الإنسان الذى هاجر عن أهله وبلده بسبب شدة ظلمهم عليه إلي دولته من حيث أنها تصير سببا لرغم أنوف الأعداء ،أشد من ابتهاجه بتلك الدولة من حيث أنها صارت سببا لسعة الرزق .

على أن سعة الرزق أمر مع أهميته فهو خاص بذات الإنسان ،ومما تختلف فيه الأنظار ،ومما تتنوع أشكاله .....ولا كذلك إرغام أنوف الأعداء والظلمة ،فمما يعم نفعه الجميع .

٣- وفى سورة الأنفال حديث فياض بالمشاعر، والأحداث العجيبة ،عن الهجرة والمهاجرين ، عرض شامل لقصة الهجرة ، وخيوط المؤامرة من بادر وسبق ومن تأخر ،أو تخلف حتى فاته الشرف .

درجة التآخي التى لو لم تكن قد وقعت لعدت خيالا. فيها تذكير بما كانوا عليه بمكة، والنقلة النوعية البعيدة المدى .

ففي قول الله تعالى :**وَاذْكُرُواْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** الأنفال أية ٢٦

كشف عن الأحوال التى كانوا عليها ومن مظاهر ذلك:

قلة فى العدد ، أنهم كانوا مستضعفين، ومن ملامح هذا الاستضعاف الخوف من أن يتخطفهم الناس ، والمعنى انهم كانوا يخافون إذا خرجوا من بلدهم أن يتخطفهم العرب ، فانظر كيف انقلبت الأحوال ؟

بعد أن كانوا فئة لا ترى ، فئة مستضعفة فى الأرض بعمومها ، أشبه بقطعة لحم فى يد طفل يخاف أن يتخطفها الغربان ، لاعدد ولاقوة ، فهذا حالهم كما

كشف عنه القران .فانظر حالهم وقدرهم عند عدوهم وعند أنفسهم .لما كان يوم القادسية ذهب المغيرة بن شعبة في عشرة الى صاحب الفرس فقال : انا قوم مجوس ، وإنا نكره قتلكم لأنكم تنجسون علينا أرضنا [١]"

قال عبد الله بن مسعود[٢] : لقد كنا كالغنم في الليلة الشاتية وقال أبو برزة الأسلمي[٣] وقد سأله أبو المنهال[٤] : فَقَالَ يَا أَبَا بَرْزَةَ أَلا تَرَى مَا وَقَعَ فِيهِ النَّاسُ فَأَوَّلُ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ تَكَلَّمَ بِهِ إِنِّي احْتَسَبْتُ عِنْدَ اللَّهِ أَنِّي أَصْبَحْتُ سَاخِطًا عَلَى أَحْيَاءِ قُرَيْشٍ إِنَّكُمْ يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ كُنْتُمْ عَلَى الْحَالِ الَّذِي عَلِمْتُمْ مِنْ الذِّلَّةِ وَالْقِلَّةِ وَالضَّلَالَةِ وَإِنَّ اللَّهَ أَنْقَذَكُمْ بِالْإِسْلامِ وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَلَغَ بِكُمْ مَا تَرَوْنَ وَهَذِهِ الدُّنْيَا الَّتِي أَفْسَدَتْ بَيْنَكُمْ إِنَّ ذَاكَ الَّذِي بِالشَّأْمِ وَاللَّهِ إِنْ يُقَاتِلُ إِلا عَلَى الدُّنْيَا وَإِنَّ هَؤُلاءِ الَّذِينَ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ وَاللَّهِ إِنْ يُقَاتِلُونَ إِلا عَلَى الدُّنْيَا وَإِنَّ ذَاكَ الَّذِي بِمَكَّةَ وَاللَّهِ إِنْ يُقَاتِلُ إِلا عَلَى الدُّنْيَا،[٥]

وقال قتادة [٦]رحمه الله :في قوله تعالى: **واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض**" قال: كان هذا الحي من العرب أذل الناس ذلا ، وأشقاه عيشا وأجوعه بطونا وأعراه جلودا وأبينه ضلالا، من عاش معهم عاش شقيا ومن مات منهم ردي في النار، يؤكلون ولا يأكلون ،والله ما نعلم قبيلا من حاضر أهل الأرض

---

١) سير أعلام النبلاء ٣ / ٢٢

٢) عبد الله بن مسعمد الامام الفقيهه من نجباء الصحاية له ترجمة في تاريخ بغداد ١ / ١٤٧ ، سير أعلام النبلاء ١ / ٥٤٧ ، والاصابة ا/ ٢٠٩

٣) أبو برزة الأسلمي فضالة بن عبيد " ت ٦٠ له ترجمة في طبقات بن سعد ٤ ، ٢٩٨ وسير أعلام النبلاء ٣ / ٤٠

٤) سيارة بن سلامة له ترجمة في تهذيب التهذيب ٤ / ٣٤٥

٥)البخارى كتاب: الفتن باب إذا خرج قال عند قوم شيئا ثم خرج فقال بخلافه ح ٧١١٢ وأحمد أول مسند البصريين ح ١٩٣٠٤

٦) قتادة بن دعامة السدوسى الحافظ المفسر ت ١١٨ ، ميزانم الاعتدال ٣ / ٣٨٥ وفيات الأعيان ٣ / ٢٤٧٨

يومئذ كانوا أشر منزلا منهم، حتى جاء الله بالإسلام فمكن به البلاد ووسع به الرزق ، وجعلهم به ملوكا على رقاب الناس وبالإسلام أعطى الله ما رأيتم ،فاشكروا الله على نعمه فإن ربكم منعم يحب الشكر، وأهل الشكر في مزيد من الله تعالى[1].

وهناك أمور جديرة بالتأمل والوقوف عندها طويلا ، لأنها لفتة تمثل الجزاء النفسى مع الجزاء المادى للجماعة المؤمنة . ، تلك التى كانت من وقت قريب – قلة مستضعفة – قد ترسب فى نفوس أفرادها أثار الخوف من التخطف .... فإذا بها مع أول مواجهة بعد الهجرة تتحول الى كائن آخر .

إنها المقارنة السريعة بين الماضى المرهق ، والمستقبل المشرق وتطيب الخواطر ، وإزالة الرواسب .. .

هذا التذكير للجماعة المؤمنة يأتى بعد عامين فقط من الهجرة ، معالجة كذلك لما يمكن أن يحدثه النصر الكبير فى بدر فى نفوسهم من عجب وغرور وإشعارا لها بأن النصر من عند الله تعالى ، ومن ثم جاء التذكير شاملا للجميع ، وجاء لفظ التذكير ظاهرا صريحا .

هذا التذكير من الله للمؤمنين يأتى فى أعقاب أحداث غزوة بدر، وله كبير المغزى .

وفى الآية من سورة الأنفال (٣٠) عرض سريع لقصة المؤامرة التى حاكتها قريش للتخلص من رسول الله ﷺ قال الله تعالى : **وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ }؟الأنفال: ٣٠**

المكر : التدبير فى الخفاء ، والحاصل أنهم احتالوا على إبطال أمر النبى ﷺ – والله تعالى نصره وقواه ، فضاع فعلهم وظهر صنع الله تعالى .

---

١) تفسير بن كثير ٢ / ٣٠١ وتفسير الطبري ٩ / ٢٢٠

والمكر من الله هو جزاؤهم بالعذاب على مكرهم من حيث لا يشعرون ، ورد مكرهم عليهم ، فعاملهم معاملة الماكرين، والله خير الماكرين ٠، لأن مكره أنفذ وأبلغ من مكرهم ، أو لأنه لا ينزل إلا ما هو حق ٠

٤- ثم نصل إلي سورة التوبة ذات الأشواط المتعددة ، تأتى تمهيدا وتعقيبا لغزوة تبوك ، وتتنزل فى أثنائها ٠

وغزوة تبوك كانت فى رجب من السنة التاسعة للهجرة وملابسات الغزوة والظروف التى أحاطت بها والتثاقل الذى حل ببعض المسلمين ، وانتحال البعض الأخر للأعذار ٠

ويجيء بين آيات السورة آية هى عمدة المتحدثين عن الهجرة ، لتوقظ فى النفوس المتثاقلة الجوانب الروحية ، وتعلن عن أن يد القدرة تمتد لتعمل عملها حين يتوقف البشر عن العطاء ، وأن الله الذى نصر نبيه فى موقعة الهجرة وليس معه الامؤمن واحد قادر على نصرته فى موقعة تبوك ٠

قال الله عز وجل ﴿ **إِلا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاتَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾{التوبة ٤٠ } .

وفى الصحيحين من حديث أنس **عن أبي بكر الصديق** ﷺ **قَالَ : كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْغَارِ ، فَرَأَيْتُ آثَارَ الْمُشْرِكِينَ ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ رَفَعَ قَدَمَهُ لرَآنَا ، قَالَ : " مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا "**[1].

---

١) البخاري في كتاب : التفسير ، باب : ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ١٩٤/٣ ح ٤٦٦٣ واللفظ له وأيضا في كتاب : مناقب الأنصار ، باب : هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة ٤٩٧/٢ ح٣٩٢٢ ومسلم في كتاب فضائل الصحابة ، باب : من فضائل أبي بكر الصديق ﷺ ١٨٥٤/٤ ح ٢٣٨١ ، والترمذي " في كتاب تفسير القرآن ، باب : من سورة التوبة ٦٦/٥ ح٣٠٩٦ . وقال أبو عيسى حديث حسن صحيح .

وفى ذلك يقول الله تعالى " ﴿ إِلا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ ..... ولنا أن نلاحظ ما يأتى : -

- المسافة الزمنية بين الهجرة كحدث وتبوك كمعركة ، وحكمة هذا التذكير وقتها ومغزاه .
- تحقيق النصر " فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ " مع عدم توافر أسبابه وآلاته وإمكاناته ...
- تكرر كلمة إذ فى الآية ثلاث مرات للدلالة على تحقيق النصر رغم عدم توافر أسبابه والتى منها العدد ، العتاد ،و الموقع.

فمن حيث العدد " ثاني اثنين"، ومن حيث العتاد المادي لا شيء، ومن حيث الموقع "إذ هما فى الغار" ثقب فى الجبل ، وفيه إشعار بالضيق والوحشة .

أفضلية الصديق ، وأن النبي ﷺ لولا يقينه صدق إيمان أبى بكر لما أصحبه نفسه فى ذلك الموضع فتخصيصه دليل على تخصيص الله إياه ،ومن هنا سماه الله " ثاني اثنين "فجعله ثاني محمد ﷺ حال كونهما في الغار ، وقد أثبت العلماء أنه كان ثاني النبي ﷺ فى كثير من المناصب.

- وكذلك ما جاء فى الأخبار انه لما حزن قال له النبي- صلى الله عليه وسلم - :"ما ظنك باثنين الله ثالثهما" وهذه درجة عالية كذلك .
- ومما يدل على فضيلة الصديق فى الآية قوله تعالى "لاتحزن إن الله معنا" فكون النبي ﷺ قد قرن بين نفسه وبينه فى المعية،المحمولة على الحفظ والنصرة والتأييد والحراسة فذلك دليل على أن معية الله ثابتة له أي لأبي بكر الصديق ﷺ ، وهى لا تكون إلا للمتقين المحسنين.

ذكر السهيلى[١] قال: انتبه أيها العبد المأمور بتدبر كتاب الله إلي قولـــه تعـــالى: **﴿ إذ يقول لصاحبه لاتحزن إن الله معنا﴾** ...الآية

فكيف كان معهما بالمعني واللفظ؟

أما المعنى فكان معهما بالنصر والأرفاد والهداية والإرشاد .

وأما اللفظ فان اسم الله تبارك وتعالى كان يذكر إذا ذك رسول الله وإذا دعـــي، فقيل: يارسول الله، أو فعل رسول الله ، ثم كان لصاحبه كذلك ، يقال : يا خليفة رسول الله ، فكان يذكر معهما بالرسالة والخلافة، ثم ارتفع ذلك فلم يكن لأحد من الخلفاء ، ولا يكون "[٢]

زعمت الرافضة أن الحزن يوجب النقص والضعف ، وحزن الصديق دليل على جهله ونقصانه؟ وقد أجاب ابن العربي بما حاصله :

أن النهى عن الحزن لا يوجب بظاهره وجود الحزن ، إنما يقتضي منعه منه فى المستقبل ولعل ﷺ قال له ذلك زيادة فى الطمأنينة .

أو أن الحزن لا ينقص الصديق ، لأن حزنه ليس على نفسه إنما على النبـــى ﷺ كما لم ينقص الخوف خليل الله إبراهيم وكليمه موسى قال الله تعالى: **فَـــأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى** طه / ٦٧

إن من ينظر الى المعاني بعين الإنصاف لا الشهوة يتضح له .

أن حزن الصديق كان حزن طاعة ، ونهيه عن ذلك رفقا به وشفقة عليـــه ولا يقتضي قول المنهي عنه فيه فى الحال ، لأن النهى عن الشيء إنما يكـــون فـــى المستقبل وقد نهى الله عباده المؤمنين عن أشياء ولم يقتض ذلك أن يكون المنهي عنه فيهم ، أو كانوا فاعلين له .

---

١) عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد ، الإمام الحافظ البارع ٥٠٨ – ٥٨١ ه له ترجمة فى تذكرة الحفاظ ٤ / ١٣٤٨ طبقات القراء ١ / ٣١٧ وفيات الأعيان ١ / ٢٦٠

٢)سبل الهدى والرشاد ٣ / ٣٦١

قال الله لنبيه ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ ولا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً ﴾ [الأحزاب ١] وقال ﴿ فَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ [يس ٧٦] وغير هذا فى حق الأنبياء كثير موجود .

﴿ لاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الحجر / ٨٨]

٥- وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِن بَعْدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَاهَدُواْ وَصَبَرُواْ إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ : [النحل / ١١٠]

أنه لما كانت سورة النحل مكية فقد ذهب بعض المفسرين الى أن الآيتين ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي اللّهِ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ولأَجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ{٤١} الَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [النحل ٤١ – ٤٢] قد نزلتا فى مهاجرة الحبشة .

على هذا مضى ابن كثير و أبو السعود وان لم يقطعا بذلك .

قال أبو السعود : " ولعلهم الذين ظلمهم أهل مكة من أصحاب رسول الله ﷺ أخرجوهم من ديارهم فهاجروا الى الحبشة ، ثم بوأهم الله المدينة حسبما وعد ... " [١]

فمع عدم القطع بنزولهما فى مهاجري الحبشة احتمال نزولهما فى مهاجرى المدينة . وبهذا قال بن عباس نزلت فى صهيب وبلال وعمار وخباب ... وجماعة أخذهم كفار مكة . قال العلامة أبو السعود : " وهذا يناسب ما حكى عن الأصم من كون كل السورة مدنية ، وما نقل عن قتادة من كون هذه الآية الى آخر السورة مدنية فيحمل ما نقلناه عنه من نزول الآية فى أصحاب الهجرتين على أن يكون نزولهما بالمدينة بين الهجرتين[٢] .

---

١) إرشاد العقل السليم ٣ / ١١٥

٢)إرشاد العقل السليم ٣ / ١١٥

ويرى الزمخشرى أنها نزلت فى مهاجرى المدينة أو من جمع بين الهجرتين[١] على أن ابن كثير يرى أن الآية ١١٠ من سورة النحل قد نزلت فى مهاجرة المدينة فيقول : " هؤلاء صنف آخر كانوا من المستضعفين بمكة، مهانين في قومهم فوافقوهم على الفتنة، ثم إنهم أمكنهم الخلاص بالهجرة فتركوا بلادهم وأهليهم وأموالهم ابتغاء رضوان الله وغفرانه وانتظموا في سلك المؤمنين .... "[٢].

ويقول أبو السعود : " وهم عمار وأصحابه – رضى الله عنهم ويقول الحسن : " هؤلاء الذين هاجروا من المؤمنين كانوا بمكة ،فعرضت لهم فتنة فارتدوا وشكوا فى رسول الله – ﷺ– ،ثم انهم أسلموا وهاجروا فنزلت هذه الآية فيهم ....." [٣] وبكل فالآيات من سورة النحل كاشفة عن دوافع الهجرة ،من ظلم ، وفتنة ، كما أنها تكشف عن المكانة المعدة لأصحابها وفى قراءة من قرأ :**فتنوا** "على البناء للفاعل بفتح الفاء ،ووجهها أن يكون المراد أن أكابر المشركين الذين آذوا فقراء المسلمين ،لو تابوا وهاجروا وصبروا فان الله يقبل توبتهم.

أو أن المسلمين الضعفاء لما ذكروا كلمة الكفر على سبيل التقية فكأنهم فتنوا أنفسهم ،وانما جعل ذلك فتنة لأن الرخصة فى إظهار كلمة الكفر لم تكن قد نزلت فى ذلك الوقت [٤]

ومما يجب التنبيه إليه ،أن الآيات في سورة مدنية ومكية وهذا يدل علي:

- الربط بين الإيمان والجهاد والهجرة كعناصر مكونة للمسلم الحق.
- كشفت الآيات عن الجزاء المرصود للمهاجرين الجزاء الذي يليق بهم،كما كشفت عن بعض أسباب الهجرة ودوافعها.

---

١) تفسير الزمخشرى ٢ / ٤١٠

٢) مختصر تفسير بن كثير ٢ / ٥٠١

٣) تفسير الفخر الرازى ٢ / ١٠١

٤) نفس المصدر السابق

- بيان موانع هجرة بعض من استضعف، أو كان صاحب عذر حقيقي .
- مكاسب الهجرة " المادية والمعنوية " ولا شك أنها كثيرة ووفيرة .
- إعفاء أصحاب الأعذار الحقيقية من الوعيد وعدم مؤاخذتهم بسبب التخلف .
- الآية التى هى عمدة المتحدثين عن الهجرة نزلت بعد الحدث بعامين .

المبحث الربع : الهجرة في السنة

لقد أفردت كتب السنة مساحات واسعة للحديث عن الهجرة يصعب على الدارس تتبعها والإحاطة بها لذلك أشير الى ما تتيسر الإشارة إليه فى أمور عدة : -

أولا - الأسباب وتحديد المكان.

ثمة أسباب عديدة حملت الرسول ﷺ والمسلمين معه على ترك مكة والاتجاه الى المدينة المنورة .

وقد سبق الاتجاه إلي المدينة محاولات وصل فيها المسلمون إلي غيرها ثم استقر بهم المقام بالمدينة .

فما هى هذه الأسباب ؟

- تحقيق عالمية الإسلام . والخروج من دائرة الإقليم الواحد إلي الأفق الواسع .

أن رسالة الإسلام لم تكن فقط لأهل مكة و إنما جاءت لتحرير العالم بأسره وسبيلها الى ذلك الدعوة الى الله تعالى فإذا لم تجد هذه الوسيلة فى مكة فلتنطلق لتنتشر فى آفاق أخري .

ولقد استخلص النبي ﷺ - هذا من واقع تجارب الماضي وعبره فكان درسا مستفادا من تقييم تلك المرحلة التى قضاها ﷺ بمكة تلك التى ذادت عن منتصف فترة الرسالة (ثلاث عشرة سنة متتابعة لقي فيها ﷺ من العنت والأذي مالا يتحمله غيره .

عَنْ خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ [1] قَالَ : شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ

---

١) خباب بن الأرت : أبو عبد الله مولى بني زهرة ، شهد بدرًا ، وكان من المهاجرين الأولين ، مات سنة سبع وثلاثين بالكوفة (التاريخ الكبير ٣/٢١٥ت ٧٣٠ ، والإصابة لابن حجر ٢/٢٥٨ ت ٢٢١٢) .

وَسَلَّمَ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ ، قُلْنَا لَهُ : أَلا تَسْتَنْصِرُ لَنَا ؟ أَلا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا ؟ قَالَ : " كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ ، وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ (١) إِلَى حَضْرَمَوْتَ (٢) لا يَخَافُ إِلا اللَّهَ أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ " (٣) .

حتى أن رسول الله – ﷺ – بعد أن رأى ما يصيب بعض أصحابه من العنت ، والاضطهاد، وأنه غير قادر على حمايتهم أشار عليهم بالهجرة إلى الحبشة لينعموا في جوها اللطيف بالحريات الكاملة : حرية العقيدة وحرية الرأي وحرية الا ستعلان لشعائر الدين .

ثم ماذا ؟ إن الله قد عهد لنبيه ﷺ بأمر الدعوة وتبليغها إلي الناس ، فحالت قريش دون الاستفادة منها فى خاصة نفسها ، فكان لابد من البحث عن أرض أخرى دفاعا عن الدعوة وتمكينا لها وتأمينا لمن اتبعه و آمن به .

وبهذا تتلاشى الدعاوى والمزاعم التى يرددها أصحابها من أن الهجرة كانت لمطامع شخصية ، من خوفه ﷺ على نفسه ،أو تخليه عن مهبط الوحي ، وبحثه عن المال والجاه .

إن دعوة الله لابد إن تبلغ مداها الأفقي والرأسي ولابد أن يعم نورها العالم ، وتمتلئ به القلوب .

---

١) صنعاء : قرية على أبواب دمشق (معجم البلدان ٣/٤٢٩).

٢) حضرموت : ناحية واسعة في شرق عدن بقرب البحر (معجم البلدان ٢/٢٧٠) .

٣) البخاري في كتاب : مناقب الأنصار ، باب : ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة ٢/٤٧٥ ح٣٨٥٢ وأوله قصة عن خَبَّابًا يَقُولُ أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً وَهُوَ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ وَقَدْ لَقِينَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ شِدَّةً فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّه أَلا تَدْعُو اللَّهَ فَقَعَدَ وَهُوَ مُحْمَرٌّ وَجْهُهُ فَقَالَ لَقَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ لَيُمْشَطُ بِمِشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ عِظَامِهِ مِنْ لَحْمٍ أَوْ عَصَبٍ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ وَيُوضَعُ الْمِنْشَارُ عَلَى مَفْرِقِ رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَيْنِ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ وَلَيُتِمَّنَّ اللَّهُ هَذَا الأَمْرَ .... الحديث ، وأبو داود في كتاب : الجهاد ، باب : في الأسير يكره على الكفر ٢/٣٩٦ ح٢٦٤٩ وابن حبان ٧/ ١٥٦ ح٢٨٩٧

قال الله تعالى :﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** ﴾ الأنبياء / ١٠٧

وقال سبحانه : ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾ الأعراف / ١٥٨

ولنا أن نتصور إذا بقيت الدعوة داخل مكة ولم تكن الهجرة ؟ ما هو مستقبل الإسلام .

- **ثانيا : تحقيق أمر الله تعالى وتنفيذه .**

قال الله تعالى :﴿ **أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ{٣٩} الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾ الحج ٣٩ - ٤٠

إن الأذن بالقتال كان سببه الظلم – وهذه أول آية إذن بالقتال بعد النهى عنه فى نيف وسبعين أية .

وتشير أسباب النزول الى ما رواه **ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : لَمَّا أُخْرِجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَكَّةَ ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ : "أَخْرَجُوا نَبِيَّهُمْ لَيَهْلِكُنَّ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ) الآيَةَ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ سَيَكُونُ قِتَالٌ "** [1].

قال ابن عباس : فهي أول آية نزلت في القتال . فالله سبحانه وتعالى قادر

---

١) الترمذي في كتاب : التفسير ، باب : سورة الحج ١١٦/٥ ح٣١٨٢ ، وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ، واللفظ له ، والنسائي في كتاب : الجهاد ، باب : وجوب الجهاد ٢٩٨/٣ ح٣٠٨٥ ، وأحمد ٢١٦/١ ح١٨٦٥ ، والحاكم ٦٦/٢ ح٢٣٧٦ وقال : حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي ، وابن حبان ٩/١١ ح٤٧١٠ ، والطبراني في الكبير ١٧/١٢ ح١٢٣٣٦ ، والبيهقي في السنن الكبرى ١١/٩ ح١٧٥١٨ .

على نصر عباده المؤمنين بدون قتال ، ولكنه يريد من عباده أن يبلوا جهدهم في طاعته [١].

والأمر بالقتال بعد الهجرة بعد أن صارت قوة مجتمعة لهم فى المدينة .

ومن صور الظلم كما فى الآية **الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم** أنهم أكرهوا على ترك ديارهم أخرجوهم بسبب أنهم قالوا ربنا الله .

- ومن الأذن رؤيا النبى ﷺ مهجره وتوجيه الصحابة إليه ورؤيا الأنبياء حق

من ذلك ما رواه البخاري **عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " قَدْ أُرِيتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ ، رَأَيْتُ سَبْخَةً ذَاتَ نَخْلٍ بَيْنَ لابَتَيْنِ[٢] وَهُمَا الْحَرَّتَانِ فَهَاجَرَ مَنْ هَاجَرَ قِبَلَ الْمَدِينَةِ حِينَ ذَكَرَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَرَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ بَعْضُ مَنْ كَانَ هَاجَرَ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ "**[٣].

عَنْ أَبِي مُوسَى أُرَاهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أُهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ فَذَهَبَ وَهَلِي إِلَى أَنَّهَا الْيَمَامَةُ أَوْ هَجَرُ فَإِذَا هِيَ الْمَدِينَةُ يَثْرِبُ ... الحديث "[٤]

---

١)تحفة الأحوذي ٩/١٢ .

٢)لابتين : والأصل في هذا أن مدينة رسول الله ﷺ بين لابتين ، وحَرَمُ رسول الله ما بين لابتيها ، ويقال ما بين لابتيها أجهل من فلان يراد ما بين طرفي المدينة أو القرية أجهل منه (غريب الحديث لابن قتيبة ٢/٤٦٥) والمدينة بين لابتين شرقية وغربية ولها لابتان أيضا من الجانبين الآخرين لأنهما يرجعان إلى الأولين لاتصالها بهما والحاصل أن جميع دورها كلها داخل ذلك ، (فتح الباري ٤/٨٩) .

٣)البخاري في كتاب : الكفالة ، باب : جوار أبي بكر في عهد النبي وعقده ٢/٦٢ - ٦٣ ح٢٢٩٧ وفي أوله قصة ، واللفظ له ، وأخرجه أيضا في كتاب : مناقب الأنصار ، باب : هجرة الحبشة ٢/٤٨٠ ، ح ٣٩٠٥ وابن حبان ١٤/١٧٩ ، والحاكم في المستدرك ٣/٤ ح٤٢٦٢ مختصرا وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

٤)البخارى كتاب : الرؤيا - باب مناقب الأنصار وأيضا باب تعبير ا ومسلم كتاب الرؤيا ، باب رؤيا النبى ﷺ ٤ / ٢٢٢٧٢ ط دار الحديث وابن ماجة كتاب تعبير الرؤيا باب تعبير الرؤيا ٢ / ١٠ ط . دار الحديث

ثالثا : رغبة المسلمين فى الهجرة ، يدفعهم الى ذلك :

أ- تهيئة النبى ﷺ لنفوسهم وحبهم فى أن يقيموا حيث يقيم .

ب- رصدهم لحركة المد الإسلامي بالمدينة ، وما تنقله الأخبار من إقبال أهلها على الدخول فى الإسلام ، وازدياد رقعته .

اشتداد الأذى بالمسلمين :

هذا الأذى الذى طال صبرهم عليه والذي لم يتوقف عند حد الضعفاء بل تعداه إلى الرسول الكريم ﷺ وكذلك كبار الصحابة كما أنه أخذ أشكالا مختلفة .

من استهزاء وتهكم بالدعوة وتعطيل مسيرتها .

إلي البطش بكل من يستجيب لها .

الى أساليب المساومة ، والإغراء طمعا فى أن يكف النبى ﷺ عن دعوته .

الى أسلوب نشر الإشاعات ورمى الرسول الكريم بما ليس فيه ، والوصف بأبشع الصفات .

الى أسلوب التعجيز بطلب المعجزات المادية .

قال العلماء : جعل النبي ﷺ ما ناله من الاستهزاء أو شماتة الأعداء أشد مما لاقاه يوم أحد من قتل سيد الشهداء حمزة ، وسبعين من الصحابة ، مع ما ناله فى نفسه من الجراحة ،وما ذلك إلا أن نفس الكريم تتأذى بالقول والسب اشد ما تتأذى به من الطعن والضرب، ولهذا عفا ﷺ عن كل من تعرض لقتله وأهدر دم كل من تعرض لشتمه ، ومع ذلك فقد كان ﷺ صابرا على ما ناله من الأذى فى نفسه أو عرضه أو أهله لعلمه بأن الامتحان عنوان الإيمان يكرم عنده المرء أو يهان ، وأن أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل ، زيادة فى حسناتهم ورفع درجاتهم [1]

يؤصل ذلك ما ثبت فى الصحيحين :

أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَّثَتْهُ أَنَّها قَالَتْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ قَالَ لَقَدْ

---

١) حدائق الأنوار ١ / ٣٤٥

لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ مَا لَقِيتُ وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلاوَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِي فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ يَا مُحَمَّدُ فَقَالَ ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمْ الأَخْشَبَيْنِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا (١)

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقَدْ أُوذِيتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُؤْذَى أَحَدٌ وَلَقَدْ أُخِفْتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُخَافُ أَحَدٌ وَلَقَدْ أَتَتْ عَلَيَّ ثَلاثَةٌ وَمَا لِي وَلِبِلالٍ طَعَامٌ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ إِلَّا مَا وَارَى إِبِطُ بِلالٍ (٢)

د- الحرص على طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ فى أداء الشعائر وتطبيق أحكام الشريعة فى جو من الحرية والاطمئنان ، بعد الأخذ والتعلم من النبى ﷺ .. كذلك التشويق إلي الجهاد والاستشهاد فى سبيل الله تعالى ، ونصره دينه، وأن يرى المسلمون للإسلام دولة مرهوبة الجانب ، عزيزة المنال .

- ومن الأسباب تحديد بداية ونهاية الهجرة الفاضلة التى امتاز بها أصحابها ، والتى كانت فرضا ، ومنح المسلمين الفرصة خلال ثماني سنين لتوفيق أوضاعهم والدخول فى الأفضلية ، وتنفيذ الفريضة قبل أن تتحول الى مجر د انتقال من مكان الى مكان .

---

١) البخارى كتاب بدء الخلق باب ذكر الملائكة ح ٣٢٣١ ومسلم كتاب الجهاد والسير باب ما لقى النبى ﷺ من أذى المشركين والمنافقين ح ١٧٥٩

٢) ابن ماجة فى المقدمة باب فضل سلمان و أبى ذر الغفارى والمقداد ح ١٥١ وأحمد فى المسند ح ١١٨٠٢

- فللهجرة إذاً بداية ونهاية ، حتى لا يتحول الناس دوما من مكة ، بل من كل بلد للإقامة بالمدينة خاصة بعد أن تحولت مكة إلى إسلام .

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ : " لا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ ، وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ [١] فَانْفِرُوا " [٢].

وفى معنى الحديث قال **الإمام النووي**[٣]- رحمه الله -قال أصحابنا وغيرهم من العلماء : الهجرة من دار الحرب الى دار الإسلام باقية الى يوم القيامة وتأولوا هذا الحديث تأويلين :

أحدهما: لا هجرة بعد الفتح من مكة لأنها صارت دار إسلام فلا تتصور منها الهجرة .

والثاني: وهو الأصح أن معناه أن الهجرة الفاضلة المهمة المطلوبة التى يمتاز بها أهلها امتيازا ظاهرا انقطعت بفتح مكة، ومضت لأهلها الذين هاجروا قبل فتح مكة، لأن الإسلام قوى وعز بعد فتح مكة عزا ظاهرا بخلاف ما قبله[٤]

---

١) استنفرتم فانفروا : لاستنفار الاستنجاد والاستنصار أي إذا طلب منكم النصرة فأجيبوا وانفروا خارجين إلى الإعانة (النهاية لابن الأثير ٩١/٥) .

٢) البخاري في كتاب : الجهاد ، باب : فضل الجهاد ٢٠٨/٢ ح٢٧٨٣ ، واللفظ له ، ومسلم في كتاب : الإمارة ، باب : المبايعة بعد فتح مكة ١٤٨٧/٣ ح١٣٥٣ ، والترمذي في كتاب : السير ، باب : ما جاء في الهجرة ٢١٧/٣ ح١٥٩٦ ، وقال أبو عيسى : حديث حسن صحيح ، وابن ماجه في كتاب : الجهاد ، باب : الخروج في النفير ٩٢٦/٢ ح١٧٧٣ مختصرا ، وأحمد في المسند ٢٢٦/١ ح١٩٩١ ، والدرامي في السنن الكبرى ٣١٢/٢ ح٢٥١٢ ، والطبراني في الكبير ٣١/١١ ح١٠٩٤٤ .

٣) الإمام العلامة أبو زكريا يحيى بن شرف بن مرى الحوراني النووي الشافعي ، ولد سنة ٦٣٠هـ، له من التصانيف : شرح صحيح مسلم ، والأذكار ، ورياض الصالحين والأربعون النووية وحلية الأبرار وغيرها كثير ، توفي سنة ٦٧٦هـ ببلده نوا . (ينظر البداية والنهاية ٢٩٤/١٣ ، شذرات الذهب ٣٥٤/٥

٤) مسلم بشرح النووي ١٣ / ٨

وذكر البغوى [١] قال: وقوله :" لا هجرة" يريد بها الهجرة من مكة الى المدينة، فأنها ارتفعت يوم الفتح ،لأن مكة صارت يوم الفتح دار إسلام ، وكل من أسلم اليوم فى بلدة من بلاد أهل الشرك فانه يؤمر بمفارقتها ، والهجرة عنها الى دار الإسلام [٢]

عَنْ مُعَاوِيَةَ ﷺ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ يَقُولُ : " لا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ ، وَلا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا " [٣] .

وعَنْ عَبْدِ اللَّه بْنِ السَّعْدِيِّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ : " ... لا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ مَا قُوتِلَ الْكُفَّارُ " [٤] وفي هذا دليل على أن الهجرة باقية لمقاتلة الكفار [٥]

فحكم الهجرة باق إلى يوم القيامة إذا وحد معناها ، وهو الفرار بالدين عند خوف الافتتان فيه أو عند العجز عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

أما عند خوف الافتتان عمن بقي في دار الحرب أو دار الكفر عاجزاً عن إظهار دين الإسلام ولديه القدرة على الهجرة، عصي معصية عظيمة ، بل اختلف في صحة إسلامه لما سبق الاستشهاد به آنفا من " **أولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا** " .

---

١) الإمام الفقيه الحسين بن مسعود بن محمد الفراء – محي اسنة – ت ٥١٦ له ترجمة في تذكرة الحفاظ ٤ / ١٢٥٩ ،شذرات الذهب ٤ / ٢٤

٢) شرح السنة للبغوى ٧ / ٢٩٥

٣) أبو داود في كتاب : الجهاد ، باب : ما جاء في الهجرة هل انقطعت ٣٣٧/٢ ح ٢٤٩٧ . والطبراني في الكبير ٣٨٧/١٩ ح ٩٠٨، والبيهقي في السنن الكبرى ١٧/٩. وقال الخطابي : إسناد حديث معاوية فيه مقال (عون المعبود ١١٣/٧) .

٤) النسائي في كتاب : البيعة ، ذكر الاختلاف في انقطاع الهجرة ٧٦/٤ ح ٤١٨٣ ، وابن حبان ٢٠٧/١١ ح ٤٨٦٦ ، وإسناده صحيح .

٥) نيل الأوطار للشوكاني ١٧٧/٨ .

وكذلك يعصي من أقام ببلد البدع والمنكر الذي لا يقدر على تغييره فيها أو بأرض غلب عليها الحرام ولديه الاستطاعة على الهجرة فإن طلب تغيير الحال فرض على كل مسلم قادر [١].

هذا وكانت هجرة الرسول - ﷺ - بعدما أنزل عليه بثلاث عشرة سنة .

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّه عَنْهمَا - قَالَ : أُنْزِلَ عَلَى رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ ، فَمَكَثَ بِمَكَّةَ ثَلاثَ عَشْرَةَ سَنَةً ثُمَّ أُمِرَ بِالْهِجْرَةِ فَهَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَمَكَثَ بِهَا عَشْرَ سِنِينَ ثُمَّ تُوُفِّيَ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " [٢]

قال الخطابي [٣] :" كانت الهجرة في أول الإسلام مندوبا أليها غير مفروضة وذلك قولة تعالي : ﴿ **وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً** ﴾ [النساء / ١٠٠] نزل حين اشتد آذى المشركين على المسلمين ، عند انتقال رسول الله ﷺ الى المدينة ، و أمروا بالانتقال إلى حضرته ليكونوا معه فيتعاونوا ويتظاهرون إن حزبهم أمر ، وليتعلموا منه أمر دينهم ويتفقهوا فيه وكان عظم الخوف فى ذلك الزمان من قريش ، وهم آل مكة فلما فتحت مكة ونخعت بالطاعة ، زال ذلك المعنى وارتفع وجوب الهجرة ، وعاد الأمر فيها إلي الندب والاستحباب ، فهما هجرتان، المنقطعة فيها هى الفرض ، والباقية هى الندب .

فهذا وجه الجمع بين الحديثين ، على أن بين الإسنادين ما بينهما حديث

---

١) المغنى لابن قدامه ٢٣٧/٩ .

٢) البخاري في كتاب : مناقب الإنصار - باب مبعث النبي - ﷺ - ٤٧٥/٢ ح ٣٨٥١ وأخرجه أيضا في الكتاب نفسه ، باب : هجرة النبي - ﷺ - وأصحابه إلى المدينة ٤٨٩/٢ ح ٣٩٠٢ وأحمد في المسند ٣٧١/٣ ح ٣٥١٧ والبيهقي في السنن الكبرى ٢٠٨/٦ ح ١١٩٥٠ .

٣) الخطابي : أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي ، صاحب التصانيف ، ولد سنة ٣١٠ ، له شرح السنن ، وغريب الحديث ، وشرح سنن أبي داود ، توفى سنة ٣٨٨ (سير أعلام النبلاء ٢٣/١٧، والبداية والنهاية لابن كثير ١٣٦/١١).

ابن عباس متصل صحيح ، وإسناد حديث معاوية فيه مقال[١]

ومعنى الاستدراك الوارد فى الحديث" **وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ** " **قيمة الاستدراك فى أنه:** يقتضي مخالفة حكم ما بعده لما قبله ، والمعنى : أن قيمة الهجرة التى هى مفارقة الوطن من مكة إلى المدينة والتى كانت مطلوبة على الأعيان مفروضة قد انقطعت ، لكن الهجرة بسبب الجهاد باقية وكذلك المفارقة بسبب نية صالحة كالفرار من دار الكفر والخروج فى طلب العلم والفرار بالدين من الفتن ، والنية فى جميع ذلك .

وقال النووي : معناه أن تحصيل الخير بسبب الهجرة قد انقطع بفتح مكة ولكن حصلوه بالجهاد والنية الصالحة وفى هذا الحث على نية الخير مطلقا وأنه يثاب على النية [٢]

يعنى أن الخير الذى انقطع بانقطاع بانقطاع الهجرة يمكن تحصيله بالجهاد والنية الصالحة ، فان فات الناس شرف الهجرة فيما مضى فلا يفوتهم شرف تحصيل الجهاد بالثواب والنية .

وفى الحديث أن الهجرة فرض فى حق كل من خاف على نفسه والتى انقطعت هي القصد إلى النبى ﷺ حيث كان، ويجب على كل مسلم أن يخرج للجهاد متى عينه الإمام .

رابعا : الأعمال بالنية .

ان عمل الخير فى أى مكان ينفع صاحبه ، وهذه دعوة لكل من فاته شرف الهجرة ، والجهاد أن يكون على الحق أبدا .

وفى الصحيح من حديث **وعن أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّه عَنْه قَالَ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ فَسَأَلَهُ عَنِ الْهِجْرَةِ فَقَالَ وَيْحَكَ إِنَّ الْهِجْرَةَ شَأْنُهَا شَدِيدٌ فَهَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَتُعْطِي صَدَقَتَهَا قَالَ نَعَمْ قَالَ فَهَلْ تَمْنَحُ مِنْهَا**

---

١) معالم السنن وانظر للتوسعة مشكل الآثار ٣ / ١٧٤ – ١٨٠

٢) مسلم بشح النووي ١٣ / ٨

قَالَ نَعَمْ قَالَ فَتَحْلُبُهَا يَوْمَ وِرْدِهَا قَالَ نَعَمْ قَالَ فَاعْمَلْ مِنْ وَرَاءِ الْبِحَارِ [١] **فَإِنَّ اللَّهَ لَنْ يَتِرَكَ مِنْ عَمَلِكَ شَيْئًا** " [٢]

والمعني : أن الأعرابي أراد ملازمة النبى ﷺ والاقامة بالمدينة وترك الأهل والوطن فخاف النبي ﷺ ألا يقوى لها ولا يقوم بحقوقها ، فوجهه الي عمل الخير حيث كان فانه نافع

فى الحديث : حث من الرسول ﷺ للأعرابى على أن يعمل بالخير فى تربية الإبل وإخراج زكاتها وذلك فى وطنه وحيث كان فهو ينفعه – ولا ينقص من أجره شيئا . [٣]

---

١) البحار : أى : القرى لأن العرب تسمى القرى البحار (النهاية لابن الأثير ١/١٠٠)

٢) البخارى فى كتاب: الزكاة ، باب : زكاة الإبل ١ / ٣٨٥ ح ١٤٥٢ ، وأيضا فى كتاب: الهبة ، باب: فضل المنيحة ٢ / ١٥٤ ح ٢٦٣٣ ، واللفظ له ، ومسلم فى كتاب : الإمارة ، باب: المبايعة بعد فتح مكة ٣/١٤٨٨ح١٨٦٥ ، وأبو داود فى كتاب : الجهاد ، باب : ما جاء فى الهجرة ٢ / ٣٣٦ ح ٢٤٧٧ ، والنسائى فى كتاب: البيعة ، باب : شأن الهجرة ٤/٧٢ ح ٤١٧٥، وأحمد فى المسند ٣/١٤ ح ١١١٢٠ .

٣) شرح النووى على صحيح مسلم ١٣ / ١٣ " بتصرف " .

الفصل الثاني : التخطيط للهجرة

لقد تمت الهجرة وفق تخطيط محكم وتنظيم دقيق مما كان درسا في سياسة الأمور .

المبحث الأول : معنى التخطيط

إن التخطيط من الأمور الهامة لمزاولة أى عمل علي مستوي الفرد والأسرة والجماعة، وهو وان كان من حيث المدلول الاصطلاحي من مستحدثات العصر ، إلا انه من حيث المعنى العلمي قديم قدم الإنسان ، مقترن بحياة الفرد على ظهر هذه الأرض .

ولهذا فان كل إنسان يباشره تلقائيا وان لم يعلم المدلول العلمي له

- فما التخطيط ؟

إنه تقدير كل أمر ،ومواجهة المستقبل بشكل منظم ، لتحقيق أهداف محددة.

- وضع تصور لما يمكن أن يكون عليه الحال مستقبلا ، ثم العمل على تحديد الأهداف، وكيفية تحقيقها .
- رسم وإعداد وسيلة ترمي إلى إنجاز الأهداف ، ومواجهة ما يحتمل وقوعه من أمور من شأنها منع تحقيق هذه الأهداف،
- إذا التخطيط موازنة وربط بين الوسائل والإمكانيات المتاحة ، والأهداف المطلوب تحقيقها ، إنه قراءة للمستقبل في ضوء فقه الواقع .

المبحث الثاني : ملامح التخطيط في الهجرة

لقد كان الخروج من مكة هدف سعى الرسول ﷺ لتحقيقه

وفي سياق خروج النبي ﷺ إلى المدينة مهاجرا

روى البخاري عَنْ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ لَمْ أَعْقِلْ أَبَوَيَّ قَطُّ إِلا وَهُمَا يَدِينَانِ الدِّينَ وَلَمْ يَمُرَّ عَلَيْنَا يَوْمٌ إِلَّا يَأْتِينَا فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَرَفَيْ النَّهَارِ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً فَلَمَّا ابْتُلِيَ الْمُسْلِمُونَ خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مُهَاجِرًا نَحْوَ أَرْضِ الْحَبَشَةِ حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَرْكَ الْغِمَادِ لَقِيَهُ ابْنُ الدَّغِنَةِ وَهُوَ سَيِّدُ الْقَارَةِ فَقَالَ أَيْنَ تُرِيدُ يَا أَبَا بَكْرٍ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ أَخْرَجَنِي قَوْمِي فَأُرِيدُ أَنْ أَسِيحَ فِي الأَرْضِ وَأَعْبُدَ رَبِّي قَالَ ابْنُ الدَّغِنَةِ فَإِنَّ مِثْلَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ لَا يَخْرُجُ وَلا يُخْرَجُ إِنَّكَ تَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ فَأَنَا لَكَ جَارٌ ارْجِعْ وَاعْبُدْ رَبَّكَ بِبَلَدِكَ فَرَجَعَ وَارْتَحَلَ مَعَهُ ابْنُ الدَّغِنَةِ فَطَافَ ابْنُ الدَّغِنَةِ عَشِيَّةً فِي أَشْرَافِ قُرَيْشٍ فَقَالَ لَهُمْ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ لَا يَخْرُجُ مِثْلُهُ وَلَا يُخْرَجُ أَتُخْرِجُونَ رَجُلًا يَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَيَصِلُ الرَّحِمَ وَيَحْمِلُ الْكَلَّ وَيَقْرِي الضَّيْفَ وَيُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ فَلَمْ تُكَذِّبْ قُرَيْشٌ بِجِوَارِ ابْنِ الدَّغِنَةِ وَقَالُوا لابْنِ الدَّغِنَةِ مُرْ أَبَا بَكْرٍ فَلْيَعْبُدْ رَبَّهُ فِي دَارِهِ فَلْيُصَلِّ فِيهَا وَلْيَقْرَأْ مَا شَاءَ وَلا يُؤْذِينَا بِذَلِكَ وَلا يَسْتَعْلِنْ بِهِ فَإِنَّا نَخْشَى أَنْ يَفْتِنَ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا فَقَالَ ذَلِكَ ابْنُ الدَّغِنَةِ لأَبِي بَكْرٍ فَلَبِثَ أَبُو بَكْرٍ بِذَلِكَ يَعْبُدُ رَبَّهُ فِي دَارِهِ وَلا يَسْتَعْلِنُ بِصَلَاتِهِ وَلا يَقْرَأُ فِي غَيْرِ دَارِهِ ثُمَّ بَدَا لأَبِي بَكْرٍ فَابْتَنَى مَسْجِدًا بِفِنَاءِ دَارِهِ وَكَانَ يُصَلِّي فِيهِ وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ فَيَتَقَذَّفُ عَلَيْهِ نِسَاءُ الْمُشْرِكِينَ وَأَبْنَاؤُهُمْ وَهُمْ يَعْجَبُونَ مِنْهُ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَجُلًا بَكَّاءً لا يَمْلِكُ عَيْنَيْهِ إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ وَأَفْزَعَ ذَلِكَ أَشْرَافَ قُرَيْشٍ مِنْ الْمُشْرِكِينَ فَأَرْسَلُوا إِلَى ابْنِ الدَّغِنَةِ فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ فَقَالُوا إِنَّا كُنَّا أَجَرْنَا أَبَا بَكْرٍ بِجِوَارِكَ عَلَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِي دَارِهِ فَقَدْ جَاوَزَ ذَلِكَ فَابْتَنَى مَسْجِدًا بِفِنَاءِ دَارِهِ فَأَعْلَنَ بِالصَّلَاةِ وَالْقِرَاءَةِ فِيهِ وَإِنَّا قَدْ خَشِينَا أَنْ يَفْتِنَ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا فَانْهَهُ فَإِنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْتَصِرَ عَلَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ

فِي دَارِهِ فَعَلَ وَإِنْ أَبَى إِلَّا أَنْ يُعْلِنَ بِذَلِكَ فَسَلْهُ أَنْ يَرُدَّ إِلَيْكَ ذِمَّتَكَ فَإِنَّا قَدْ كَرِهْنَا أَنْ نُخْفِرَكَ وَلَسْنَا مُقِرِّينَ لِأَبِي بَكْرٍ الاسْتِعْلَانَ قَالَتْ عَائِشَةُ فَأَتَى ابْنُ الدَّغِنَةِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ قَدْ عَلِمْتَ الَّذِي عَاقَدْتُ لَكَ عَلَيْهِ فَإِمَّا أَنْ تَقْتَصِرَ عَلَى ذَلِكَ وَإِمَّا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيَّ ذِمَّتِي فَإِنِّي لَا أُحِبُّ أَنْ تَسْمَعَ الْعَرَبُ أَنِّي أُخْفِرْتُ فِي رَجُلٍ عَقَدْتُ لَهُ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ فَإِنِّي أَرُدُّ إِلَيْكَ جِوَارَكَ وَأَرْضَى بِجِوَارِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَئِذٍ بِمَكَّةَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْمُسْلِمِينَ إِنِّي أُرِيتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ ذَاتَ نَخْلٍ بَيْنَ لابَتَيْنِ وَهُمَا الْحَرَّتَانِ فَهَاجَرَ مَنْ هَاجَرَ قِبَلَ الْمَدِينَةِ وَرَجَعَ عَامَّةُ مَنْ كَانَ هَاجَرَ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ وَتَجَهَّزَ أَبُو بَكْرٍ قِبَلَ الْمَدِينَةِ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رِسْلِكَ فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤْذَنَ لِي فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ وَهَلْ تَرْجُو ذَلِكَ بِأَبِي أَنْتَ قَالَ نَعَمْ فَحَبَسَ أَبُو بَكْرٍ نَفْسَهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَصْحَبَهُ وَعَلَفَ رَاحِلَتَيْنِ كَانَتَا عِنْدَهُ وَرَقَ السَّمُرِ وَهُوَ الْخَبَطُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ قَالَ ابْنُ شِهَابٍ قَالَ عُرْوَةُ قَالَتْ عَائِشَةُ فَبَيْنَمَا نَحْنُ يَوْمًا جُلُوسٌ فِي بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ قَالَ قَائِلٌ لأَبِي بَكْرٍ هَذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَقَنِّعًا فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِينَا فِيهَا فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ فِدَاءٌ لَهُ أَبِي وَأُمِّي وَاللَّهِ مَا جَاءَ بِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلا أَمْرٌ قَالَتْ فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْتَأْذَنَ فَأُذِنَ لَهُ فَدَخَلَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأَبِي بَكْرٍ أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ إِنَّمَا هُمْ أَهْلُكَ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ فَإِنِّي قَدْ أُذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصَّحَابَةُ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَعَمْ قَالَ أَبُو بَكْرٍ فَخُذْ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِحْدَى رَاحِلَتَيَّ هَاتَيْنِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالثَّمَنِ قَالَتْ عَائِشَةُ فَجَهَّزْنَاهُمَا أَحَثَّ الْجِهَازِ وَصَنَعْنَا لَهُمَا سُفْرَةً فِي جِرَابٍ فَقَطَعَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ قِطْعَةً مِنْ نِطَاقِهَا فَرَبَطَتْ بِهِ عَلَى فَمِ الْجِرَابِ فَبِذَلِكَ سُمِّيَتْ ذَاتَ النِّطَاقَيْنِ قَالَتْ ثُمَّ لَحِقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ بِغَارٍ فِي جَبَلِ ثَوْرٍ فَكَمَنَا فِيهِ ثَلَاثَ لَيَالٍ يَبِيتُ عِنْدَهُمَا عَبْدُ

اللَّه بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَهُوَ غُلامٌ شَابٌّ ثَقِفٌ لَقِنٌ فَيُدْلِجُ مِنْ عِنْدِهِمَا بِسَحَرٍ فَيُصْبِحُ مَعَ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ كَبَائِتٍ فَلَا يَسْمَعُ أَمْرًا يُكْتَادَانِ بِهِ إِلَّا وَعَاهُ حَتَّى يَأْتِيَهُمَا بِخَبَرِ ذَلِكَ حِينَ يَخْتَلِطُ الظَّلَامُ وَيَرْعَى عَلَيْهِمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ مِنْحَةً مِنْ غَنَمٍ فَيُرِيحُهَا عَلَيْهِمَا حِينَ تَذْهَبُ سَاعَةٌ مِنْ الْعِشَاءِ فَيَبِيتَانِ فِي رِسْلٍ وَهُوَ لَبَنُ مِنْحَتِهِمَا وَرَضِيفِهِمَا حَتَّى يَنْعِقَ بِهَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ بِغَلَسٍ يَفْعَلُ ذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثِ وَاسْتَأْجَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ رَجُلًا مِنْ بَنِي الدِّيلِ وَهُوَ مِنْ بَنِي عَبْدِ بْنِ عَدِيٍّ هَادِيًا خِرِّيتًا وَالْخِرِّيتُ الْمَاهِرُ بِالْهِدَايَةِ قَدْ غَمَسَ حِلْفًا فِي آلِ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ السَّهْمِيِّ وَهُوَ عَلَى دِينِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ فَأَمِنَاهُ فَدَفَعَا إِلَيْهِ رَاحِلَتَيْهِمَا وَوَاعَدَاهُ غَارَ ثَوْرٍ بَعْدَ ثَلَاثِ لَيَالٍ بِرَاحِلَتَيْهِمَا صُبْحَ ثَلَاثٍ وَانْطَلَقَ مَعَهُمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ وَالدَّلِيلُ فَأَخَذَ بِهِمْ طَرِيقَ السَّوَاحِلِ قَالَ ابْنُ شِهَابٍ وَأَخْبَرَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَالِكٍ الْمُدْلِجِيُّ وَهُوَ ابْنُ أَخِي سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ أَنَّ أَبَاهُ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ سَمِعَ سُرَاقَةَ بْنَ جُعْشُمٍ يَقُولُ جَاءَنَا رُسُلُ كُفَّارِ قُرَيْشٍ يَجْعَلُونَ فِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبِي بَكْرٍ دِيَةَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَنْ قَتَلَهُ أَوْ أَسَرَهُ فَبَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ قَوْمِي بَنِي مُدْلِجٍ أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ حَتَّى قَامَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ جُلُوسٌ فَقَالَ يَا سُرَاقَةُ إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ آنِفًا أَسْوِدَةً بِالسَّاحِلِ أُرَاهَا مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ قَالَ سُرَاقَةُ فَعَرَفْتُ أَنَّهُمْ هُمْ فَقُلْتُ لَهُ إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِهِمْ وَلَكِنَّكَ رَأَيْتَ فُلَانًا وَفُلَانًا انْطَلَقُوا بِأَعْيُنِنَا ثُمَّ لَبِثْتُ فِي الْمَجْلِسِ سَاعَةً ثُمَّ قُمْتُ فَدَخَلْتُ فَأَمَرْتُ جَارِيَتِي أَنْ تَخْرُجَ بِفَرَسِي وَهِيَ مِنْ وَرَاءِ أَكَمَةٍ فَتَحْبِسَهَا عَلَيَّ وَأَخَذْتُ رُمْحِي فَخَرَجْتُ بِهِ مِنْ ظَهْرِ الْبَيْتِ فَخَطَطْتُ بِزُجِّهِ الْأَرْضَ وَخَفَضْتُ عَالِيَهُ حَتَّى أَتَيْتُ فَرَسِي فَرَكِبْتُهَا فَرَفَعْتُهَا تُقَرِّبُ بِي حَتَّى دَنَوْتُ مِنْهُمْ فَعَثَرَتْ بِي فَرَسِي فَخَرَرْتُ عَنْهَا فَقُمْتُ فَأَهْوَيْتُ يَدِي إِلَى كِنَانَتِي فَاسْتَخْرَجْتُ مِنْهَا الْأَزْلَامَ فَاسْتَقْسَمْتُ بِهَا أَضُرُّهُمْ أَمْ لَا فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ فَرَكِبْتُ فَرَسِي وَعَصَيْتُ الْأَزْلَامَ تُقَرِّبُ بِي حَتَّى إِذَا سَمِعْتُ قِرَاءَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وَهُوَ لَا يَلْتَفِتُ وَأَبُو بَكْرٍ يُكْثِرُ الِالْتِفَاتَ سَاخَتْ يَدَا فَرَسِي فِي الْأَرْضِ حَتَّى بَلَغَتَا الرُّكْبَتَيْنِ فَخَرَرْتُ عَنْهَا ثُمَّ زَجَرْتُهَا فَنَهَضَتْ فَلَمْ تَكَدْ تُخْرِجُ يَدَيْهَا فَلَمَّا اسْتَوَتْ قَائِمَةً إِذَا لِأَثَرِ يَدَيْهَا عُثَانٌ سَاطِعٌ فِي السَّمَاءِ مِثْلُ الدُّخَانِ فَاسْتَقْسَمْتُ بِالْأَزْلَامِ فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ فَنَادَيْتُهُمْ بِالْأَمَانِ فَوَقَفُوا فَرَكِبْتُ فَرَسِي حَتَّى جِئْتُهُمْ وَوَقَعَ فِي نَفْسِي حِينَ لَقِيتُ مَا لَقِيتُ مِنْ الْحَبْسِ عَنْهُمْ أَنْ سَيَظْهَرُ أَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ لَهُ إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ جَعَلُوا فِيكَ الدِّيَةَ وَأَخْبَرْتُهُمْ أَخْبَارَ مَا يُرِيدُ النَّاسُ بِهِمْ وَعَرَضْتُ عَلَيْهِمْ الزَّادَ وَالْمَتَاعَ فَلَمْ يَرْزَآنِي وَلَمْ يَسْأَلَانِي إِلَّا أَنْ قَالَ أَخْفِ عَنَّا فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَكْتُبَ لِي كِتَابَ أَمْنٍ فَأَمَرَ عَامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ فَكَتَبَ فِي رُقْعَةٍ مِنْ أَدِيمٍ ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ ابْنُ شِهَابٍ فَأَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقِيَ الزُّبَيْرَ فِي رَكْبٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا تِجَارًا قَافِلِينَ مِنْ الشَّأْمِ فَكَسَا الزُّبَيْرُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبَا بَكْرٍ ثِيَابَ بَيَاضٍ وَسَمِعَ الْمُسْلِمُونَ بِالْمَدِينَةِ مَخْرَجَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَكَّةَ فَكَانُوا يَغْدُونَ كُلَّ غَدَاةٍ إِلَى الْحَرَّةِ فَيَنْتَظِرُونَهُ حَتَّى يَرُدَّهُمْ حَرُّ الظَّهِيرَةِ فَانْقَلَبُوا يَوْمًا بَعْدَ مَا أَطَالُوا انْتِظَارَهُمْ فَلَمَّا أَوَوْا إِلَى بُيُوتِهِمْ أَوْفَى رَجُلٌ مِنْ يَهُودَ عَلَى أُطُمٍ مِنْ آطَامِهِمْ لِأَمْرٍ يَنْظُرُ إِلَيْهِ فَبَصُرَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ مُبَيَّضِينَ يَزُولُ بِهِمْ السَّرَابُ فَلَمْ يَمْلِكْ الْيَهُودِيُّ أَنْ قَالَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ يَا مَعَاشِرَ الْعَرَبِ هَذَا جَدُّكُمْ الَّذِي تَنْتَظِرُونَ فَثَارَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى السِّلَاحِ فَتَلَقَّوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِظَهْرِ الْحَرَّةِ فَعَدَلَ بِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ حَتَّى نَزَلَ بِهِمْ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ وَذَلِكَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ لِلنَّاسِ وَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَامِتًا فَطَفِقَ مَنْ جَاءَ مِنْ الْأَنْصَارِ مِمَّنْ لَمْ يَرَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحَيِّي أَبَا بَكْرٍ حَتَّى أَصَابَتْ الشَّمْسُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى ظَلَّلَ عَلَيْهِ بِرِدَائِهِ فَعَرَفَ النَّاسُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ ذَلِكَ فَلَبِثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ بِضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً وَأُسِّسَ الْمَسْجِدُ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى وَصَلَّى فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ رَكِبَ رَاحِلَتَهُ فَسَارَ يَمْشِي مَعَهُ النَّاسُ حَتَّى بَرَكَتْ عِنْدَ مَسْجِدِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَدِينَةِ وَهُوَ يُصَلِّي فِيهِ يَوْمَئِذٍ رِجَالٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ وَكَانَ مِرْبَدًا لِلتَّمْرِ لِسُهَيْلٍ وَسَهْلٍ غُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي حَجْرِ أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ بَرَكَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ هَذَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ الْمَنْزِلُ ثُمَّ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْغُلَامَيْنِ فَسَاوَمَهُمَا بِالْمِرْبَدِ لِيَتَّخِذَهُ مَسْجِدًا فَقَالَا لَا بَلْ نَهَبُهُ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَبَى رَسُولُ اللَّهِ أَنْ يَقْبَلَهُ مِنْهُمَا هِبَةً حَتَّى ابْتَاعَهُ مِنْهُمَا ثُمَّ بَنَاهُ مَسْجِدًا وَطَفِقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْقُلُ مَعَهُمْ اللَّبِنَ فِي بُنْيَانِهِ وَيَقُولُ وَهُوَ يَنْقُلُ اللَّبِنَ هَذَا الْحِمَالُ لَا حِمَالَ خَيْبَرْ هَذَا أَبَرُّ رَبَّنَا وَأَطْهَرْ وَيَقُولُ اللَّهُمَّ إِنَّ الْأَجْرَ أَجْرُ الْآخِرَهْ فَارْحَمْ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَهْ فَتَمَثَّلَ بِشِعْرِ رَجُلٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يُسَمَّ لِي قَالَ ابْنُ شِهَابٍ وَلَمْ يَبْلُغْنَا فِي الْأَحَادِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَمَثَّلَ بِبَيْتِ شِعْرٍ تَامٍّ غَيْرَ هَذَا الْبَيْتِ[1]

لقد كان الخروج من مكة هدفا سعي الرسول –صلي الله عليه وسلم – لتحقيقه ،ثم إنه خرج في وضح النهار –وقت الظهيرة –وهو وقت لم يكن يذهب إلي بيت الصديق فيه ،فغير عادته ، وعندما أراد الخروج من بيت أ بي بكر خرج من خوخة لأبي بكر في ظهر بيته ، لاحتمال أن يكون البيت مراقبا ،ثم كان الاتجاه إلى غار ثور ،علي غير طريق المدينة .

– ومن هنا شمل التخطيط أهداف عدة هى:

أولا: تحديد المكان وسر اختياره

لم يكن بد من تحديد المكان الذي سيصل اليه استكمالا لنشر الدعوة وقد وقع الاختيار علي المدينة ،باختيار الله له لماذا ؟

---

١) البخاري كتاب المناقب ، باب، هجرة النبي ﷺ وأصحابه ح ٣٩٠٦

كانت له بها صلة وقربي ،ففيها بنو النجار أخواله ،وبها قبر أبيه ،وكان الاتجاه إليها في الصلاة والمدينة بلد غنى بمائه وثماره ، وهى وسط بين مكة وبلاد الشام ، كما أنها فى منعة بحصونها .

ثم ومجاورة أهلها لليهود – أهل الكتاب –وحديثهم عن نبي آخر الزمان كذلك ما قام به النبي –صلي الله عليه وسلم – من تأليفه لقلوب أهلها وعقد المعاهدات –بيعة العقبة – علي الولاء والنصرة ، والدفاع عنه وحمايتها إذا ما قدم إليهم . ومن التخطيط المحكم استعمل المرحلية . والصبر في عملية التحويل والتهجير . وأن يكون الأمر وفق متطلبات الوقت .

أفرادا إن اقتضى الوقت الفردية ، وجماعات كذلك .

إن الخروج الكلي قد يثير الحفائظ المعاندة، وربما أدي إلي تكتلها والعمل علي الحيلولة دون الهجرة ، مما قد يترتب علية إخفاق في تحقيق الهدف .

– اختيار المكان وجمع المعلومات وتحليلها واختيار الوقت المناسب ، والكيفية المناسبة لطريقة التحول.

ثانيا – بقاء الرسول الكريم ﷺ واستبقاء بعض العناصر معه ، وتحديد الدور الذى سيقوم به كل عنصر على حدة انتقاء هذه العناصر – ويلاحظ مدى الترابط بين رباط القرابة ، والعمل الواحد

والمراجع لأسماء هذه العناصر يلحظ .

من أسرة الصديق عائشة على علم بأمر الهجرة .

أسماء أختها ، وعبد الله بن الصديق ، تؤتمن على أسرار الرحلة، لأنها بشكل عملي مشاركة فى الرحلة عامر بن فهيرة مولى أبى بكر – راعى الغنم، وكذا عبد الله بن اريقط راعى مثله ، وهما أعرف بطباع بعضهما البعض.

على بن أبى طالب – البديل الذي سيقوم بأخطر مهمة. وصلته برسول الله ﷺ معلومة.

أن عملية نومه مكان رسول الله ﷺ – قد شغلت كفار مكة وصرفتهم عن هدفهم

وكان لعلى مهمة أخري رد الودائع لأصحابها.

ثالثا: تدبير مستلزمات الرحلة: وهو تدبير وتخطيط على نحو رائع دقيق.

أن الرسول قدر كل أمر حق قدره ، ولم يترك شيئا للارتجالية ، بل أخذ بالأسباب واستنفذها ، فكان أن تمت رحلة مثيرة عظيمة لم يعرف التاريخ أعظم منها .

- السرية والكتمان ، لقد أخذ الاحتياط والحذر فيها مداه
- هاجر المسلمون أفرادا وجماعات ،وأدركت قريش ذلك فكان
- اجتماع دار الندوة فكيف واجه الرسول ﷺ مؤامراتها وما هو أسلوب العمل الذي اتبعه ؟

بعد أن جاءه أمر ربه فى الهجرة

رابعا : الدعاء :

﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَاناً نَّصِيراً ﴾ الإسراء / ٨٠

تحليل التخطيط

إعداد مستلزمات السفر وإسرار الرسول ﷺ على دفع ثمن الرحلة .

الخروج من بيته ، والاستخفاء عن أعين قريش.

تجميع الجهود والأفراد الممثلين للقوى البشرية وتنظيمهم ، وفقا لصلاحية كل فرد وقدراته ومواهبه.

تنسيق هذه الجهود والعمل على الاستفادة منها .

- وتبع ذلك :
- حسن اختيار الوقت العناصر التي ستكلف بمهام – حسن التوظيف ، التلميح فى إبلاغ الأمر – خاصة للصديق رفيقه فى الرحلة
- اختيار عدد قليل بينهم انسجام وتعاون .
- استئجار دليل لديه خبرة بالصحراء وطرقها. وكانت الخبرة وحدها

مع الكفاءة هى المرشحة للاختيار.

- اختيار على لينام مكان النبي ﷺ .
- الاتفاق على تفاصيل الخروج .
- مغايرة الطريق المعتاد .
- ترك النتائج بعد ذلك كله لله وعليه .
- وكان من نتائج ذلك كله : .

تقليل فرص التضارب والاحتكاك بين المجمعة . المختارة وبين غيره ، فالمسئولية واضحة ،والمهام محددة ، ومن ثم لا يجوز لأحد تجاوزها .

- ضمان العمل فى تناسق وتعاون لتحقيق الأهداف المنشودة .
- ضمان الاستخدام الأمثل لكل الطاقات والإمكانات، والاستفادة المثلى من الجهود.
- تمكين القائد من الرقابة ، والمتابعة الفعالة المستمرة ، والتوجيه الدائم .
- و أخيرا لماذا بقى النبي ﷺ بعد هجرة أصحابه ؟
- بقى النبي ﷺ ينتظر أمر الله له بالهجرة صرف الأنصار عنه فوجوده بمكة ومعه رجل كالصديق ، يبعث فى نفس المكين نوعا من الطمأنينة الى بقائه ، وان هجرة أصحابه لا تعدوا أن تكون محاولات كالتي سبقتها الى الحبشة .
- ثم إن خطورة الدعوة كامنة بشخص رسولها ﷺ وهو باق أمامهم فلا زال لديهم أمل في الحفاظ علي مكانتهم بين القبائل .
- ثم ربما لو خرج الرسول ﷺ قبل أصحابه لأدى ذلك على منع مكة لأصحابه ، واحتجازهم فيها ، ولذلك ففي بقاءه من المعاني النفسية والإنسانية العظيمة الشيء الكثير .
- يكفى أن يكون منها النبي ﷺ -عمل علي الاطمئنان على أصحابه حين يراهم قد خرجوا واجتمعوا بالمدينة ، ثم هو يضرب من نفسه المثل فى الإيثار وهذا ما تقتضيه القيادة الحكيمة.

المبحث الثالث

فضل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار وجزاؤهم

١- قال الله تعالي :﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُولَـئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾الأنفال / ٧٤

٢- وقال سبحانه :﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمِ﴾ التوبة / ١٠٠

وقال الله تعالي :﴿ لِلْفُقَرَاء الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنصُرُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ{٨} وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ{٩} وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلّاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾الحشر ٨ – ١٠

ومن مراجعة أقوال العلماء لهذه الآيات نخرج بالآتي:

١ – قد أثبتت الآيات السابقة الولاية علي بعضهم البعض ، ثم ذكرهم هنا لبيان تعظيم شأنهم وعلو درجاتهم.

* حصرت آية الأنفال حقيقة الإيمان فيمن هاجر ، وجاهد والذين آووا ونصروا.

* كما تكلمت عن الجزاء فى الدنيا والآخرة، ففي الدنيا هم المؤمنون حقا وفى الآخرة فلهم مغفرة محو الذنوب حتى لا يعاقبوا ، ورفع درجاتهم بإعطائهم

الثواب وهو رزق كريم ٠

والرزق : هو ما انتفع به المرء مما ساقه الله إليه وهو بهذا يتعدى الحواجز المادية الي المعنوية، وكلما امتد وصف بأنه جميل حسن وهنا وصفه الله بأنه كريم أي لاعمل ولاجهد لك فيه كالماء والهواء ، وقد يكون للإنسان فيه عمل قليل والرزق واسع فوق حجم العمل ، فهو كريم ، بل فوق الكرم٠

وفي وصف الرزق بأنه كريم إشارة الي أنه يبحث عن صاحبه ، ويعرفه يعرف مكانه وعنوانه ، وان كان هذا الصاحب لا يعرف للرزق مكانا ولا عنوانا٠

والمقصود : أن الله أثنى على أصحاب هذه الآية فقصر الإيمان الحق فيهم ٠

*أثبت لهم كمال المغفرة التامة من جميع الذنوب ، الرزق الكريم فشرحت الآية حالهم فى الدنيا والآخرة

ففى الدنيا " هم المؤمنون حقا وفى الآخرة دفع عنهم العقاب بإثبات المغفرة ، واثبت لهم الثواب وهو الرزق الكريم

٢ – لقد انتظم فى الآية المهاجرون والأنصار والتابعون لهم بإحسان كل حسب سبقه وتقدمه ٠

والسابق من حصل منه التقدم بصدد ما هو فيه– سبق الزمان، أو سبق صفة ، أو سبق مكان ٠

بمعنى هل هو سبق بسبب الوجود فى عصر النبوة ؟

أو هو سبق بحسب الدخول فى الإيمان ؟

أو هو سبق مكان تبوأ دار النصرة ؟

فان كان سبق زمن لمن وجد فى زمن من غير الزمن فمن لم يتواجد فى الزمن السابق ما ذنبه ؟

ولهذا فان السبق يعتبر من مغاصره ، وينحصر المعني في الذين سبقوا الى

الإيمان فى مكة وسبقوا إلى النصرة فى المدينة .

المهم أن الآية نص على تفضيل السابقين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان

وان كان هذا لا يمنع من إلحاق غيرهم بهم ممن يأتى بعدهم.

فان الله يقول:﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ{١٣} وَقَلِيلٌ مِّنَ الآخِرِينَ﴾الواقعة – ١٤

أخرج مسلم فى صحيحه من حديث **أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :مِنْ أَشَدِّ أُمَّتِي لِي حُبًّا نَاسٌ يَكُونُونَ بَعْدِي يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ رَآنِي بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ**(١)

و عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طُوبَى لِمَنْ آمَنَ بِي وَرَآنِي مَرَّةً وَطُوبَى لِمَنْ آمَنَ بِي وَلَمْ يَرَنِي سَبْعَ مِرَارٍ(٢)

واختلفوا من هم السابقون الأولون المقصود ون فى الآية وعدد طبقاتهم على أقوال .

وان كانت الآية قد ذكرت أنهم سابقون فى الهجرة والنصرة وما لم تبين الآية فى أى شيء كان السبق، وبقي اللفظ علي إطلاقه لذا لزم تقيده بما وصفهم به ، وصرف اللفظ الى ما به صاروا مهاجرين وأنصارا،وهو الهجرة والنصرة.

وفي صورة الحشر لا تقف عند حد المهاجرين ،بل تضم إليهم الأنصار ثم الذين هاجروا بعد ، ممن تأخرت هجرتهم.

كذلك ينتظم معهم في الشرف الأنصار، كاشفة الآيات عن أسباب الهجرة ودوافعها ،ودور الأنصار العظيم في الإيواء البالغ درجة الإيثار، ثم دعاء اللاحق للسابق .

---

١) مسلم فى كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب فيمن يود رؤية النبى ﷺ بأهله وماله ح ٢٨٣٢ وأحدد فى المسند ٢ / ٤١٧ ، ٥ / ١٥٦ ، ١٧٠

٢) أحمد في المسند ح ١٢١٦٨

صفات المهاجرين :

١ - أنهم فقراء مهاجرون أخرجوا من ديارهم وأموالهم

٢ - ابتغاؤهم الفضل والرضوان من الله تعالى ٠

٣ - نصرة الله ورسوله٠

٤ - الصدق والرسوخ فيه٠

صفات الأنصار:

ثم مدحت الآية الأنصار بخصال حميدة:

١ - محبتهم للمهاجرين ورضاهم باختصاص الفيء بهم أحسن رضا، ثم رضاهم بالقليل٠

٢ - الإيثار: تقديم الغير علي النفس في الحظوظ الدنيوية رغبة في الحظوظ الدينية ، وذلك ينشأ عن قوة النفس ، ودرجة الصبر والمحبة وهو يختلف باختلاف الناس٠

وهذا الإيثار لم يكن عن غنى ، بل كان كما وصفته الآية عن حاجة وفقر في قوله تعالي﴿ **وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ والإيمان مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ** ﴾

فما معني عطف الإيمان علي الدار ؟

معناه : أنهم تبوؤا الدار- المدينة - أي تمكنوا منها واتخذوها مسكنا لهم قبل المهاجرين، فهل كانوا فى الإيمان كذلك ؟

والجواب : انه ضمن التبوأ معنى اللزوم لتمكنهم منه٠

أو المعنى :تبوؤا الدار وأخلصوا الايمان٠

وقيل المعنى :تبوؤا دار الهجرة ودار الإيمان، ولذا سمى المدينة بالإيمان لكونها مظهره ومنشأه٠

* - لكن مع هذا فإن الأنصار ما تبوؤا الإيمان قبل المهاجرين٠

والجواب:أن فى الكلام تقديما وتأخيرا تقديره:والذين تبوؤا الدار من قبلهم والإيمان ، أو على تقدير حذف

المضاف وتقديره:تبوؤا الدار والإيمان من قبل هجرة المهاجرين.

* استوعبت الآية الأخيرة جميع المؤمنين ، وأبانت أن من شأن اللاحق منهم أن يدعو للسابق والمفضول أن يستغفر للفاضل.

- فمدح الله أصحاب هذه الآية بالمحبة لمن تقدمهم بمراعاة حقوق الاخوة فى الدين والسبق بالإيمان

* انتظام الجميع فى عقد الاخوة- أخوة العقيدة - التى هى أعز و من أخوة النسب .

والناس على مرا تب ، كل آية تبين عن مرتبة،والعاقل الكيس يجتهد ألا يخرج منها.

قال ابن أبي ليلى : الناس على ثلاثة منازل: المهاجرون ، والذين تبوءوا الدار والإيمان ، والذين جاءوا من بعدهم، فاجهد ألا تخرج من هذه المنازل .وقال بعضهم: كن شمسا، فإن لم تستطع فكن قمرا فإن لم تستطع فكن كوكبا مضيئا، فإن لم تستطع فكن كوكبا صغيرا ومن جهة النور لا تتقطع.

ومعنى هذا : كن مهاجريا، فإن قلت لا أجد فكن أنصاريا، فإن لم تجد فاعمل كأعمالهم ، فإن لم تستطع فأحبهم واستغفر لهم كما التابعين .

وروى مصعب بن سعد قال : الناس على ثلاثة منازل، فمضت منزلتان وبقيت منزلة ، فأحسن ما أنتم عليه أن تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت[1]

---

١) تفسير القرطبي ١٨ / ٣١

المبحث الرابع :المدينة وأسس البناء للمجتمع الجديد

دانت المدينة لرسول الله – ﷺ – واستقر فيها وصحابته الكرام .لكن هل مرحلة الاستقرار بالمدينة كافية ،ومعها فقد تحقق كل شيء؟

لا شك أن الهجرة مرحلة انتقالية مليئة بالأهداف ،والغايات النبيلة وصولا بالدعوة الى أقصى حد لها من الناحية الأفقية والرأسية .

من هنا شغل الرسول مع بداية التحول بأمر البناء للدولة الحديثة باعتبارها نقطة انطلاق نحو عالمية الدعوة .

لذا يمكن القول: بان الهجرة كانت بداية عمل،ونقطة تحول،وزادا للانطلاق،القائم على أسس قوية .

من ربط الناس بربهم،تحديد صلة الأمة ببعضها البعض،تحديد صلة الأمة بالمجاورين لها ممن لا يدينون بدينها .

الأمر الأول : يتصل بقوة العقيدة:

تكوين الإيمان العميق،أولى مراحل القوة،التدبير المناسب لمواجهة القوى المادية،الركيزة الأساسية لقيام الدولة المسلمة،وبها تؤدى دورها فى الحياة،فإذا انهارت هذه الركيزة لم تكن دولة،ومن ثم لم يكن هناك من دور لها تؤديه.

قال الله تعالى﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ**﴾ آل عمران /١٠٢.

لابد من الإيمان –الاعتقاد الحق فى الله– وسيلة التجميع والتنظيم .

وقد رتب الله تعالى فى القرآن على الإيمان اكثر من مائة خصلة.

ولا يتصور أحد أن تكوين الإيمان العميق فى المرحلة الجديدة مستقل أو منفصل عن المرحلة السابقة،أبدا غاية الأمر أن المنهج فى المرحلة الجديدة قد ضم شيئا آخر هو ارتباط العقيدة بالتشريع الأخلاقي ٠

ولذلك فان القران يعرض الإيمان دائما فى صورة إعمال-سلوكيات أخلاق حية يتميز بها المؤمن ٠

انه جوهر العقيدة واحد فى المرحلتين،فقط أضيف إليها ما فرضته ظروف الدعوة من تكاليف ،وعبادات ،ومبادئ تتصل بها،وبالمجتمع وبالإنسانية ،هذا كله ربما أشار إليه القرآن فى مكة أو أحاديث الرسول -ﷺ-،إلا انه بعد الهجرة ظهرت كمبادئ ، فأصبحت جزءا لا ينفصل عن قيم المجتمع٠

الأمر الثاني : المسجد وإعلان الآذان:

تثبت وقائع التاريخ أن النبي-ﷺ-،ما إن أقام بمكان إلا وكان أول شئ يفعله بناء مسجد٠

أقام مسجد قباء وهو فى طريقه الى المدينة ٠

ولما وصل الى المدينة بدأ أعماله ببناء المسجد النبوي ٠

وهذا يدل على أهمية المسجد ٠

ودعوة تريد أن تنتصر،وتستقيم الى الله فعلها بباب النصر والاستقامة وبابها المسجد٠

إصلاح العقيدة،تكوين الرجولة،تعليم آداب التعامل الإسلامي ، نقطة البدء فى ذلك كله المسجد٠

وجماع الخير فى ارتياد المسجد٠

"المسجد هو فى حقيقته موضع الفكرة الواحدة الطاهرة المصححة لكل ما يزيغ به الاجتماع،هو فكر واحد لكل المشاكل،زكما يشق النهر فتقف الأرض عند شاطئيه

لا تتقدم،يقام المسجد فتقف الأرض بمعانيها الترابية خلف جدرانه لا تدخله".

"فما المسجد بناء و لا مكان كغيره من البناء و المكان ، بل هو تصحيح للعالم الذى يموج من حوله، ويضطرب ،فان الحياة أسباب الزيغ،و الباطل و المنافسة والعداوة والكيد ونحوها ،و هذه كلها يمحوها المسجد،إذ يجمع الناس مرارا فى كل يوم على سلامة الصدر،وبراءة القلب،وروحانية النفس،و لا تدخله إنسانية الإنسان إلا طاهرة منزهة مسبغة على حدود جسمها من أعلاه و أسفله شعار الطهر الذى يسمى الوضوء، كأنما يغسل الإنسان آثار الدنيا عن أعضائه قبل دخول المسجد".

و لقد عدد الحسن بن على –رضى الله عنهما– ،فوائد الاختلاف الى المسجد فقال: "من أدام الاختلاف الى المسجد أصاب ثماني خصال:آية محكمة، و أخا مستفادا، و علما مستطرفا، ورحمة منتظرة، و كلمة تدله على هدي، أو تردعه عن ردي، و ترك الذنوب حيأ، أو خشية من الله"."

"إن مكانة المسجد في المجتمع الإسلامي تجعله مصدر التوجيه الروحي و المادي فهو ساحة للعبادة، و مدرسة للعلم، وندوة للأدب، و قد ارتبطت بفريضة الصلاة و صنوفها أخلق و تقاليد هي لباب الإسلام.

و لكن لما أعياهم بناء النفوس على الخلائق الجليلة–استعاضوا عن ذلك بناء المساجد السابقة تضم مصليين أقزاما.

أما الأسلاف الكبار فقد انصرفوا عن زخرفة المساجد و تشيدها الى تزكية أنفسهم و تقويمها، فكانوا أمثلة صحيحة للإسلام.

الأمر الثالث : تحديد صلة الأمة ببعضها البعض

وهذا الأساس ركيزة قوية أخرى تتمثل فى قوة السواعد ، وتمتين الأواصر والروابط يتمم الركيزة الساسية الأولى – قوة العقيدة

وصولا الي تحقيق هذا الهدف فقد خط الرسول ﷺ ، له هذه الخطوط

١-عهد مؤاخاة بين تجمع الأنصار وتجمع المهاجرين

٢-عهد مؤاخاة بين أفراد المهاجرين والأنصار

٣-عهد مؤاخاة بين المهاجرين أنفسهم

وبهذا السياج الأخوي صان الرسول الكريم وحدة الأمة وقد ضمن الرسول ﷺ ، لهذا الأساس وثيقته ، والتي جاء فيها " هذا كتاب من محمد النبي بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ، ومن تبعهم فلحق بهم ،وجاهد معهم أنهم أمة واحدة من دون الناس ، المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون[١] بينهم وهم يفدون عانيهم[٢] بالمعروف والقسط بين المؤمنين .."[٣]

ومعنى هذا تذويب كل الفوارق والعصبيات ، فلا حمية إلا للإسلام ، فالإسلام جنسية كل المسلمين ، فلا يتأخر أحد ولا يتقدم إلا على أساسه.

وقد ذكر السهيلى أن رسول ﷺ آخى بين أصحابه حين نزلوا المدينة ، ليذهب عنهم وحشة الغربة ، ويؤنسهم من مفارقة الأهل والعشيرة ، ويشد أزر بعضهم ببعض فلما عز الإسلام واجتمع الشمل ، وذهبت الوحشة أنزل الله سبحانه ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُواْ مِن بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَـئِكَ مِنكُمْ وَأُوْلُواْ الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾الأنفال / ٧٥ أي في الميراث ، ثم جعل المؤمنين كلهم أخوة فقال تعالي :﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾ الحجرات/١٠

يعنى فى التواد وشمول الدعوة ..."

والواقع أن المؤاخاة بلغت حد أفضل وأعمق من هذا ، والمستوي الرفيع الذى وصلت إليه لولا أنه وقع لعد من أحلام الحالمين قال الله تعالي﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ**

---

١) المعني أنهم يتحملون دياتهم بعضهم مع بعض ، (لسان العرب ١١ / ٤٦٢

٢) العاني : الأسير (الفائق للزمخشري ٢ / ٢٦)

٣) البيهقي في السنن الكبرى كتاب الديات باب العاقلة ٨ / ١٠٥

آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ{١٠٢} وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾آل عمران ١٠٢ – ١٠٣

علي هاتين الركيزتين قامت الجماعة المسلمة ، وأدت دورها العظيم ركيزة الإيمان والتقوى ٠٠ ولابد من بداية ليوضع الميزان الصحيح للقيم ٠

وبدونها فانه تجمع كأي تجمع من التجمعات ٠

والركيزة الثانية التآخي في الله لتحقيق منهجه ٠

" وهكذا قامت الجماعة المسلمة الأولى فى المدينة علي هاتين الركيزتين ، علي الإيمان بالله ذلك الإيمان المنبثق من معرفة الله سبحانه – وتمثل صفاته فى الضمائر وتقواه ومراقبته واليقظة والحساسية الي حد غير معهود إلا فى الندرة من الأحوال ، وعلى الحب الفياض الرائق ٠٠٠ وقصة المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار قصة من عالم الحقيقة ولكنها فى حقيقتها اقرب علي الرؤى الحالمة وهى قصة وقعت فى هذه الأرض ولكنها فى طبيعتها من عالم الخلد والجنان ٠

وعلي مثل الإيمان ، ومثل الأخوة ، يقوم منهج الله فى الأرض فى كل زمان ٠

الأخوة إذا من مستلزمات الإيمان ٠

ومحبة الأخ لأخيه واحدة من شعب الإيمان ٠

ولا رباط إلا رباط العقيدة ٠

الأخوة طريق سعادة البشرية ٠

الأخوة حقوق وواجبات لاتولد ولا تترعرع فى الأوساط الخسيسة ، فحيث يشيع الجهل ، والجبن والجشع والشح لايمكن أن يكون إخاء ٠

إن اخوة الإسلام عاطفة شريفة نبيلة جعلها رب العالمين أساسا لوحدة كاملة وأمة قوية متماسكة ، فلو أن مسلما قد أعتنق الإسلام وهو في أبعد مكان في الأرض لنشات له حقوق وواجبات على سائر أفراد الكتلة البشرية المسلمة في أرضنا

هذه التي نعيش عليها الآن ٠

الأمر الرابع :صلة الأمة بالمجاورين لها ممن لا يدينون بدينها

هذا هو الأساس الثالث لبناء المجتمع المسلم واقامة دولة الإيمان وقد كتب النبي ﷺ وثيقة هي أهم دستور للدولة الجديدة ٠

كانت الوثيقة أمر إلزام بالنسبة للمؤمنين لتنظيم مجتمعهم ، وتحقيق تعاون فيما بينهم ، وتأليف قبائلهم ، وقد جعلت الوثيقة ما يسري على المجتمع المسلم ساريا على غيره من اليهود والمجاورين لهم ، فيكون لهم ما للمؤمنين وعليهم ما على المؤمنين لا يضارون فى دينهم ولا يعتدي عليهم فى عقائدهم كما نصت على أن السلطة العليا للدولة بأيدي المسلمين ٠

وقد تقدم صدور الوثيقة مع الإشارة الي مكانها، وأذكر منها الآن أهم بنودها :

- المسلمون من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم ، وجاهد معهم أمة واحدة من دون الناس ٠
- السلمون جميعا على اختلاف قبائلهم يتعاقلون بينهم ويفدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين ٠
- المؤمنون لا يتركون مغرما مثقلا بالديون بينهم أن يعطوه بالمعروف ٠
- وان المؤمنين المتقين على من بغي منهم أو ابتغي وسيعة عظيمة ظلم أو اثم ، أو عدوان أو فساد بين المؤمنين وأن أيديهم جميعا ولو كان ولد أحدهم ٠
- لا يقتل مؤمن بكافر ولا ينصر كافر علي مسلم٠
- ذمة الله تعالى واحدة ، يجير عليهم أدناهم وأن المؤمنين بعضهم مولى بعض دون الناس ٠
- لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة وأمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثا، أو أن يؤيده ، وأن من نصره أو أواه فان عليه لعنة الله

وغضبه يوم القيامة ، لا يؤخذ منه صرف ولا عدل

- من تبعنا من يهود فان له النصرة والسوة ، غير مظلومين ولا متناصرين عليهم .
- اليهود يتفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين ، وأن يهود بنى عوف أمة من المؤمنين لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ، مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم فانه لايؤتغ – يهلك إلا نفسه وأهل بيته
- على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم وان بينهم النصر على من حارب أهل الصحيفة
- كل من كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فان مرده الى الله عز وجل والى محمد رسول الله ﷺ –
- من خرج من المدينة أم ومن قعد أمن الا من ظلم وآثم
- إن الله على أصدق ما فى الصحيفة وابره وان الله جار لمن بر واتقى

وبموجب هذه الوثيقة فقد صار الرسول ﷺ الرئيس الأول والمسئول عن تنفيذ ما اشتملت عليه .

أصبحت الأساس المتفق عليه فيما بينهم من جهة وفيما بينهم وبين غيرهم كذلك تقوم أساسيات هذه الوثيقة على أساس وحدة الأمة الإسلامية وتميزها من بين المم " أمة واحدة من دون الناس " وبالتالي تسقط دعاوى المناهضين لهذه الحقيقة ،الزاعمين بان الإسلام دين حدوده المسجد .

الإسلام أساس وحدة الأمة وتماسكها، تتلاشى أمامه كافة الفوارق المصطنعة .

المجتمع السليم، مجتمع متراحم، متعاون ، متكافل ،وأفراده جميعا مسئولون عن بعضهم البعض .

الإسلام حل لكل المشكلات،وإجابة شافية عن كل التساؤلات ، لايجب على المسلمين أن يلجئوا لغيره أو يبحثوا عن سواه فى تصريف أمورهم وحل مشكلاتهم

الفصل الثالث : التأريخ بالهجرة النبوية

المبحث الأول : سبب التأريخ بالهجرة النبوية

اعتبر المسلمون الهجرة بداية تاريخهم رغم وجود أحداث عظيمة ضخمة غيرها لم يؤرخوا بميلاد النبي ﷺ ولا مبعثه ،ولا وفاته أنما أرخوا بالهجرة . لم تكن الهجرة مجرد سفر ،فكم في الدنيا من أسفار ،ولا مجرد انتقال من مكان إلي مكان .

لقد كانت الهجرة عملية تغيير طغي بشموليته علي كل شئ ،وتحول حتى شمل كافه مناحي الحياة .

وروعة الهجرة في أنها عقيدة ،وعبادة ،تضحية ،وفداء ،كفاح وإصرار عجيب علي مواجهه الفساد ،والقضاء علي الكفر والطغيان والمؤمنون الذين قاموا بها رغم قلتهم ،قد أعطوا الهجرة بأعمالهم الخالدة روح الخلود فاستحقا أن تكون علما علي الإسلام ، إذا كانت بما حدث المظهر العلم ى الصحيح له ، مظهر العقيدة العبادة الأخوة ، التضحية الفداء الحب الإيثار

ويرى السهيلى أن قوله سبحانه :﴿ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ ﴾ التوبة / ١٠٨ فيه من الفقه صحة ما اتفق عليه الصحابة مع عمر حين شاورهم ، لأنه الوقت الذى عز فيه الإسلام والذي أمر فيه النبي صلى الله ﷺ ، وأسس المسجد ، وعبد الله أمنا كما يحب ، فوافق رأيهم هذا ظاهر التنزيل وفهمنا الآن بفعله أن قوله تعالي : ﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ ﴾ أن ذلك

اليوم هو أول أيام التاريخ الذى يؤرخ به الآن ، فان كان أصحاب رسول الله ﷺ أخذوا هذا من الآية فما الظن بإفهامهم ؟ فهو اعلم الناس بكتاب الله وتأويله أفهمهم بما فى القران ، من إشارات وإفصاح وان كان ذلك منهم عن رأى واجتهاد فقد علم ذلك منهم قبل أن يكونوا وأشار إلى صحته قبل أن

يفعل ..."[١] وعند البخاري باب التاريخ من أين أرخوا التاريخ ؟

ساق تحته بسنده **حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ مَا عَدُّوا مِنْ مَبْعَثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا مِنْ وَفَاتِهِ مَا عَدُّوا إِلَّا مِنْ مَقْدَمِهِ الْمَدِينَةَ**[٢]

قال الحافظ بن حجر : " قوله مقدمه أي زمن قدومه لم يرد شهر قدومه لأن التاريخ إنما وقع من أول السنة وقد أبدى بعضهم للبداية بالهجرة مناسبة فقال كانت القضايا التي اتفقت له ويمكن أن يؤرخ بها أربعة مولده ومبعثه وهجرته ووفاته فرجح عندهم جعلها من الهجرة لأن المولد والمبعث لا يخلو واحد منهما من النزاع في تعيين السنة وأما وقت الوفاة فأعرضوا عنه لما توقع بذكره من الأسف عليه فانحصر في الهجرة ... " فان قيل : فلماذا أخروه من ربيع الأول إلى المحرم ؟

قال الحافظ : " لأن ابتداء العزم على الهجرة كان في المحرم إذ البيعة وقعت في أثناء ذي الحجة وهي مقدمة الهجرة فكان أول هلال استهل بعد البيعة والعزم على الهجرة هلال المحرم فناسب أن يجعل مبتدأ وهذا أقوى ما وقفت عليه من مناسبة الابتداء بالمحرم

فما سبب عمل عمر التأريخ ؟

ذكر العلماء فى سبب ذلك أشياء منها أن أبا موسى كتب إلى عمر أنه يأتينا منك كتب ليس لها تاريخ فجمع عمر الناس فقال بعضهم أرخ بالمبعث وبعضهم أرخ بالهجرة فقال عمر الهجرة فرقت بين الحق والباطل فأرخوا بها وذلك سنة سبع عشرة فلما اتفقوا قال بعضهم ابدءوا برمضان فقال عمر بل بالمحرم فإنه منصرف الناس من حجهم فاتفقوا عليه .

---

١) الروض الأنف ١٢ / ٢٤٦

٢) البخارى كتاب المناقب باب التاريخ من أين أرخوا ح ٣٥٣٢

وقيل أول من أرخ التاريخ يعلى بن أمية حيث كان باليمن أخرجه أحمد بن حنبل بإسناد صحيح لكن فيه انقطاع بين عمرو بن دينار ويعلى وروى أحمد وأبو عروبة في الأوائل والبخاري في الأدب والحاكم من طريق ميمون بن مهران قال رفع لعمر صك محله شعبان فقال أي شعبان الماضي أو الذي نحن فيه أو الآتي ضعوا للناس شيئا يعرفونه فذكر نحو الأول.

وروى الحاكم عن سعيد بن المسيب قال جمع عمر الناس فسألهم عن أول يوم يكتب التاريخ ؟

فقال علي :من يوم هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وترك أرض الشرك ففعله عمر وروى بن أبي خيثمة من طريق بن سيرين قال قدم رجل من اليمن فقال رأيت ظاهرا شيئا يسمونه التاريخ يكتبونه من عام كذا وشهر كذا فقال عمر هذا حسن فأرخوا فلما جمع على ذلك قال قوم أرخوا للمولد وقال قائل للمبعث وقال قائل من حين خرج مهاجرا وقال قائل من حين توفي ،فقال عمر: أرخوا من خروجه من مكة إلى المدينة، ثم قال بأي شهر نبدأ؟فقال قوم: من رجب وقال قائل :من رمضان فقال عثمان أرخوا المحرم فإنه شهر حرام وهو أول السنة ومنصرف الناس من الحج، قال وكان ذلك سنة سبع عشرة وقيل سنة ست عشرة في ربيع الأول فاستفدنا من مجموع هذه الآثار أن الذي أشار بالمحرم عمر وعثمان وعلي- رضي الله عنهم[1]

---

١) فتح الباري ٧ / ٢٦٨ . ٢٦٩ ، وأنظر عمدة القارىء ١٧ / ٦٦

المبحث الثاني : الأثر الإيماني للهجرة النبوية في بناء المجتمع المسلم

إن حدث الهجرة حدث جليل فهي تعد بمثابة نقطة تحول من ضعف إلى قوة تثبيتا لموقف النبي - ﷺ - والله سبحانه وتعالى يريد من هذا الحدث الجليل أن يطمئن الرسول - ﷺ - ويريه آية من آياته في ذلك الموقف ، ولكي يثبت إيمان التابعين والمؤمنين بسيدنا محمد - ﷺ - [١]. وللهجرة آثار إيمانية عظيمة منها :

١ - الهجرة دليل كمال الإيمان للفرد وحسن إسلامه .

عن مجاشع بن مسعود [٢] السلمي - رضي الله عنهما - قال : أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَخِي بَعْدَ الْفَتْحِ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ جِئْتُكَ بِأَخِي لِتُبَايِعَهُ عَلَى الْهِجْرَةِ قَالَ : " ذَهَبَ أَهْلُ الْهِجْرَةِ بِمَا فِيهَا فَقُلْتُ : عَلَى أَيِّ شَيْءٍ تُبَايِعُهُ قَالَ : أُبَايِعُهُ عَلَى الإِسْلامِ وَالإِيمَانِ وَالْجِهَادِ " [٣] .

فالهجرة النبوية لم تكن هجرة للجسد فقط ، وإنما كانت هجرة للجسد والنفس معا فهي هجرة للروح في حب الله سبحانه وتعالى ومن هنا نأخذ للهجرة معنى آخر غير هجرة الأوطان فتصبح هجرة للنفس بمخالفتها عن مألوفاتها المرذولة .

عَنْ عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ قَالَ : قَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الإِسْلامُ ؟ قَالَ أَنْ يُسْلِمَ قَلْبُكَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَأَنْ يَسْلَمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِكَ ، وَيَدِكَ قَالَ : فَأَيُّ

---

١) السياحة في الإسلام د. عبد الباري محمد داود ،ص ٧٧ ط . دار المعرفة الجامعية ١٩٩٦ م .

٢) مجاشع بن مسعود السلمي البهزي البصري سمع النبي - ﷺ - قتل يوم الجمل سنة ست وثلاثين " (الاستيعاب ١٤٥٧/٤ ت ٢٥١٥ ، والاصابة ٧٦٧/٥ ت ٧٧٢٧) .

٣) البخاري في كتاب : المغازي ، باب : من شهد الفتح ٩٠/٣ ح ٤٣٠٥ ، ٤٣٠٦ ، واللفظ له ، وأحمد ٤٦٩/٣، وأبو عوانه في مسنده ٤٣٥/٤ ح ٧٢٢٧ ، والطبراني في الكبير ٣٢٤/٢٠ ح ٧٦٦ .

الإِسْلامِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : الإِيمَانُ ، قَالَ : وَمَا الإِيمَانُ ؟ قَالَ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ، وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ قَالَ : فَأَيُّ الإِيمَانِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : الْهِجْرَةُ ، قَالَ : فَمَا الْهِجْرَةُ ؟ قَالَ تَهْجُرُ السُّوءَ ، قَالَ فَأَيُّ الْهِجْرَةِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : الْجِهَادُ ، قَالَ وَمَا الْجِهَادُ ؟ قَالَ : أَنْ تُقَاتِلَ الْكُفَّارَ إِذَا لَقِيتَهُمْ ، قَالَ : فَأَيُّ الْجِهَادِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ مَنْ عُقِرَ جَوَادُهُ وَأُهْرِقَ دَمُهُ " [١] . قوله : " أي الإيمان أفضل ؟ قال : الهجرة " فجعلها كلمة واحدة جامعة ، قال له " فما الهجرة " قال : أن تهجر السوء . فزاده تفسيرا وبيانا ، فلما قال " فأي الهجرة أفضل ؟ قال : الجهاد في سبيل الله " ، وقد قال له قبل ذلك الهجرة أن تهجر السوء .

أي أنك إذا هجرت السوء رغبت في الخير ومن خير ما أنت راغب فيه الجهاد في سبيل الله [٢] .

وهجرة الصحابة كانت هجرة إيمانية تمثلت في بطولتهم النادرة ، وذلك في نظرهم إلى المتاع والمال على أنه شيء هين ، والحياة لا يتشبثون بها إلا إذا طلب إليهم بذلها في سبيل الله، والآلام والعذاب مستعذبة لنصرة دين الله . فلم تكن هجرة خوف أو فرار من الموت ، وإنما كانت هجرة في سبيل عقيدة منحوها قلوبهم ، ومبادىء ملكوها أرواحهم ، هجرة من أجل الحق الذي حرص أهله على حمايته ، وتبليغه إلى الناس ، وهداية العالمين على طريقه [٣] .

٢ – الهجرة دليل صلاح العبد واستقامته :

فعن أبي فاطمة [٤] – رضي الله عنه – أَنَّهُ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ حَدِّثْنِي

---

١) أحمد في المسند ١١٤/٤ ، ومعمر بن راشد في الجامع ١٢٧/١١، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٠٧/٣ ، وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح ، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب ١٠٥/٢ ح ١٦٨٧ ، وقال : رواه أحمد بإسناد صحيح ورواته محتج بهم في الصحيح.

٢) تعظيم قدر الصلاة لأبي عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المروزي ٤٠٣/١ تحقيق د. عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائي ط . الأولى المدينة المنورة – مكتبة الدار ١٤٠٦ هـ .

٣) السياحة في الإسلام، ص ٨٧–٨٨ (مرجع سابق) .

٤) أبو فاطمة الأذري وقيل الدوسي ويقال الليثي صحابي شهد فتح مصر ، واختلف في اسمه ، فقيل : أنيس وقيل عبد الله بن أنيس ، روى عن النبي – ﷺ –

بِعَمَلٍ أَسْتَقِيمُ عَلَيْهِ وَأَعْمَلُهُ ، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " عَلَيْكَ بِالْهِجْرَةِ فَإِنَّهُ لا مِثْلَ لَهَا " (١).

وقوله : " فإنه لا مثل لها أي في ذلك الوقت وفي حق ذلك الرجل والله تعالى أعلم ويريد بالهجرة مما حرم الله سبحانه وتعالى (٢) .

٣ – **الهجرة تأييد ونصر للإيمان** فقد ظل رسول الإنسانية ، ومعلم البشرية محمد – ﷺ – بمكة زهاء ثلاثة عشر عاما يدعو إلى الله – تعالى – بالحكمة والموعظة الحسنة ، وينال الأذى في سبيل دعوته وينزل العذاب بالمستضعفين من أصحابه ، وقد مستهم البأساء والضراء، وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله حتى أن رسول الله – ﷺ – بعد أن رأى ما يصيب بعض أصحابه من العنت ، والاضطهاد، وأنه غير قادر على حمايتهم أشار عليهم بالهجرة إلى الحبشة لينعموا في جوها اللطيف بالحريات الكاملة : حرية العقيدة وحرية الرأي وحرية الاستعلان لشعائر الدين .

فعن أم سلمة – رضي الله عنها – زوج النبي – ﷺ – أنها قالت : لما ضاقت علينا وأوذي أصحاب رسول الله – ﷺ – وفتنوا ورأوا ما يصيبهم من البلاء ، والفتنة في دينهم ، وأن رسول الله – ﷺ – لا يستطيع رفع الأذى عنهم ، وكان رسول الله – ﷺ – في منعة من قومه وعمه لا يصل إليه شيء مما يكره مما ينال أصحابه ، فقال لهم رسول الله – ﷺ – إن بأرض الحبشة ملكا لا يظلم أحد عنده ، فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم

و روى عنه كثير بن مره وغيره (الاصابة لابن حجر ٣١٨/٧ ت ١٠٣٧٨) .

١) النسائي في كتاب البيعة باب : الحث على الهجرة ٧٤/٤ ح ٤١٧٨ ، والطبراني في الكبير ٣٢٢/٢٢ ح٢٨١٠ ، وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة ح ١٩٣٧ وقال : إسناده حسن .

٢) حاشية السندي على سنن النسائي ، ٣٤/٤ ، وفيض القدير – عبد الرؤوف المناوي ٣٣١/٢ ، ط ١٠ – مصر – المكتبة التجارية ١٣٥٦ هـ .

فرجا ومخرجا مما أنتم فيه ، فخرجنا إليها أرسالا[١] حتى اجتمعنا ، ونزلنا بخير دار إلى خير جار أمنا على ديننا، ولم نخش منه ظلماً " [٢] .

فكان أول من خرج منهم عثمان بن عفان – رضي الله عنه – ومعه زوجته رقية بنت رسول الله – ﷺ – وتتابع المسلمون حتى كان جملة من هاجر إليها غير صغار هم ثلاث وثمانين رجلا فأمنهم النجاشي ، وأكرم وفادتهم [٣] .

ومما لاشك فيه : أن الأمن والطمأنينة قد وجدت في الحبشة في ظل النجاشي رغم عدم إسلامه ، ففي هجرة الحبشة نجد الحبشة دولة قوية عامرة ، هاجر إليها المسلمون لينشطوا حياة هذا المجتمع ، ولم يهاجروا إلى شاهق جبل أو واد يغلقونه عليهم مديرين ظهورهم للحياة، والمجتمعات الإنسانية ، ولا يستطيع عاقل هنا أن يدعي أن عقيدة النجاشي، وأهل الحبشة كان الإسلام يرضى عنها ، فالرسول – ﷺ – ، والمسلمون كانوا يعلمون على التحقيق أن الإسلام نسخ كل العقائد السابقة ، ورغم هذا فإننا لم نجد هذا الجانب العقائدي مانعا من الهجرة إلى الحبشة طالما توفر الأمن للإسلام ، فكانت الهجرة إلى الحبشة أمانا وانتصارا على أذى الكفار [٤].

ثم كانت الهجرة إلى يثرب حيث استقبلت النبي – ﷺ – استقبالا كريما رائعا لم تشهد له مثيلا من قبل في روعته وجلاله ، وإذا كانت هجرة بعض المسلمين إلى

---

١) أرسالا : أي أفواجا ، أي يجيئون إليها ناس بعد ناس (النهاية لابن الأثير ٢٢٢/٢، الفائق للزمخشري ٥٥/٢).

٢) اسحاق بن رهوية في مسنده ٧١/١ ح ٢١ ، والبيهقي في السنن الكبرى ٩/٩ وإسناده حسن.

٣) فتح الباري ١٨٨/٧.

٤) سيرة ابن هشام ١٦٥/١ ، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ، القاهرة (د. ت).

الحبشة فرارا بدينهم، فإن هجرة النبي – ﷺ – التي غيرت مجرى التاريخ لم تكن فرارا ولا خوفا ، ولكن تنفيذا لخطة محكمة مرسومة وضعت وأخذت عليها البيعة والميثاق فلم يهاجر رسول الله – ﷺ– خوفا من بطش قريش وجبروتها ، بل تنفيذا لوعد أبرم من قبل بعض الوافدين من يثرب إلى مكة في موسم الحج ، لذلك نجد أن القرآن الكريم سجل الهجرة على أنها نصر من الله عز وجل لنبيه [١].

قال الله عز وجل ﴿ **إِلا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ . { التوبة : ٤٠ } .

وعن أبي بكر الصديق ﷺ قَالَ : كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْغَارِ ، فَرَأَيْتُ آثَارَ الْمُشْرِكِينَ ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ رَفَعَ قَدَمَهُ لرَآنَا ، قَالَ : " مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا[٢] " .

وقوله : " الله ثالثهما " معاونهما وناصرهما وإلا فهو مع كل اثنين بعلمه [٣] .

فالهجرات كانت بخيرها وآثارها بردا وسلاما على الإنسانية وفاتحة خير لها ، انقذتها من وهدتها ، وأخرجتها من ظلمتها وهدتها من حيرتها ودفعت بها إلى طريق الخير والفلاح فكانت بحق نصرا للمؤمنين ونورا للمجاهدين وأمانا

---

١) مجلة الأزهر، الهجرة جهاد وتضحية وتأييد ونصر ، لفضيلة الشيخ / عبد المنصف محمود عبد الفتاح ص ٢٠ – المحرم ١٤٢١هـ – أبريل ٢٠٠م .

٢)البخاري في كتاب : التفسير ، باب : ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ١٩٤/٣ ح ٤٦٦٣ واللفظ له وأيضا في كتاب : مناقب الأنصار ، باب : هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة ٤٩٧/٢ ح٣٩٢٢ ومسلم في كتاب فضائل الصحابة ، باب : من فضائل أبي بكر الصديق ﷺ ١٨٥٤/٤ ح ٢٣٨١ ، والترمذي " في كتاب تفسير القرآن ، باب : من سورة التوبة ٦٦/٥ ح٣٠٩٦ . وقال أبو عيسى حديث حسن صحيح .

٣) ينظر : تحفة الأحوزي ٢٣٩٢/٨ ، شرح النووى على صحيح مسلم ١٤٩/١٥ ، وفتح الباري ٢٥٩/٧.

للخائفين [١] .

٤ – **الهجرة جهاد وتضحية** ، فقد أثبتت الهجرة النبوية أن الدعوة والعقيدة يُتَنازل لهما عن كل عزيز وحبيب وأليف ، وأنيس وعن كل ما جبلت الطبائع السليمة على حبه وإيثاره ، والتمسك به والتزامه ولا يتنازل عنهما لشيء .

وقد كانت مكة فضلا عن كونها مولدا ، ومنشأ للرسول ﷺ وأصحابه ، مهوى الأفئدة، ففيها الكعبة البيت الحرام الذي جرى حبه فيهم مجرى الروح والدم ، ولكن شيئا من ذلك لم يمنعه وأصحابه من مغادرة الوطن ، ومفارقة الأهل والسكن حيث ضاقت الأرض على هذه الدعوة ، والعقيدة ، وتنكر أهلها لها .

وقد تجلت هذه العاطفة المزدوجة عاطفة الجنس الإنساني ، وعاطفة الحب الإيماني في كلمته ﷺ التي قالها مخاطبا لمكة [٢].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ – رضي الله عنهما – قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَكَّةَ : " مَا أَطْيَبَكِ مِنْ بَلَدٍ ، وَأَحَبَّكِ إِلَيَّ وَلَوْلا أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا سَكَنْتُ غَيْرَكِ" [٣] .

وهذا خطاب من رسول الله ﷺ لمكة حين ودعها ، وذلك يوم فتح مكة [٤] .

وهذا دليل على أن مكة خير أرض الله على الإطلاق ، وأحبها إلى رسول الله [٥] . ولقد كانت فتنة المسلمين في مكة فتنة الإيذاء والتعذيب ، وما يرونه

---

١) مجلة الأزهر ، ص ٢١ العدد السابق نفسه .

٢) السيرة النبوية للعلامة المرحوم أبو الحسن الندوي، ص١٣ ط. دار عمر بن الخطاب ، نشر المكتبة العصرية.

٣) الترمذي في كتاب : المناقب ، باب : فضل مكة ٥/٤٨٧ ح٣٩٥٢ ، وقال أبو عيسى : حديث حسن صحيح ولكن غريب من هذا الوجه ، والأحاديث المختارة للضياء المقدسي ١٠/٢٠٩ ، وموارد الظمآن لزوائد ابن حبان ١/٢٩٣ ح١٠٢٦.

٤) تحفة الأحوذي للمباركفوري ١٠/٢٩٥.

٥) نيل الأوطار للشوكاني ٥/٩٨.

من المشركين من ألوان الهزء والسخرية ، فلما أذن رسول الله - ﷺ - بالهجرة أصبحت فتنتهم في ترك وطنهم وأموالهم ودورهم وأمتعتهم ، ولقد كانوا أوفياء لدينهم ، مخلصين لربهم أمام الفتنة الأولى ، والثانية، قابلوا المحن والشدائد بصبر ثابت ، وعزم أكيد حتى إذا أشار لهم الرسول - ﷺ - بالهجرة إلى المدينة توجهوا إليها ، وقد تركوا من ورائهم الوطن ، ومالهم فيه من مال ومتاع، ونسب ، وذلك أنهم خرجوا مستخفين متسللين ولا يتم ذلك إلا إذا تخلصوا من الأمتعة ، والأثقال ، فتركوا كل ذلك في مكة ليسلم لهم الدين ، واستعاضوا عنه بالأخوة الذين ينتظرونهم في المدينة ليؤوهم وينصروهم ، وهذا هو المثل الصحيح للمسلم الذي أخلص الدين لله ، ولا يبالي بالوطن ولا بالمال ، والنسب في سبيل أن يسلم له دينه[١] .

فالإيمان الجازم إذا خالطت بشاشته القلوب يزن الجبال ولا يطيش وصاحب هذا الإيمان المحكم يرى متاعب الدنيا مهما كبرت واشتدت جنب إيمانه طحالب عائمة فوق سيل جارف جاء ليكسر السدود المنيعة ، والقلاع الحصينة ، فلا يبالي من تلك المتاعب [٢].

---

١) فقه السيرة ، د/ محمد سعيد السيوطي ، ص١٣٠ ط. دار الفكر.

٢) الرحيق المختوم للمباركفوري ، ص ١١٦ ، دار الوفاء ، المنصورة ، ١٩٨٧ .

الخاتمة

إن حدث الهجرة من الأحداث الضخمة ،فيعمر الدعوة الإسلامية، فياضة مليئة بالعظات والدروس والعبر .

* الفتن والامتحان من سنن الله فى كونه ، للناس عامة وللمسلمين من الناس بصفة خاصة ، لأمر يتعلق بطبيعة هذه الحياة ولاخر يتعلق بطبيعة الإسلام ، وليس للفتن شكل محدد، فقد يفتن المرء بالشيء وضده والمسلم الحق هو الذى يرجع إلى ربه فى كل حالاته.

وقد فتن المسلمين بصنوف من التعذيب البدني والنفسي ، فلما أمروا بالهجرة كانت فتنة الغربة وترك الوطن .

* المسلم لا يقيم على ضيم ، ولا يقبل الظلم والاستضعاف فأرض الله واسعة ومن ثم يجب هجرة أماكن السوء وترك دور الحرب ، وهذا الحكم باق على وجوبه إلي يوم القيامة.

* أهمية التخطيط السليم وإعداد العدة لكل أمر ، تقدير الحاجات وفقه الأولويات ، وقراءة الواقع وفقهه ومواجهة كل أمر بما يناسبه

* فى استبقاء الرسول ﷺ للصديق دليل على مكانه ومكانته ولقد أصل العلماء بذلك لإمامة الصديق وخلافته.

* استغلال كافة الوسائل واستعمال كل الأسباب المادية فى كل عمل ، وعلى المسلم إلا يترك سبب أو وسيلة إلا ويستعملها

أثر الشباب بارز ودورهم واضح في نجاح الدعوة ، فهم عماد كل دعوة إصلاحية وبهم وعلى وجودهم وصل الإسلام الذي حررنا الله به من الضلالة والجهالة .

* عنصر النساء كذلك في الهجرة دليل ثابت على حاجة الدعوات الإصلاحية إلى المرأة ، فالمرأة إذا آمنت بشيء فإنها لا تبالي وجهادها في عهد النبوة صفحة مشرقة

*-أثبتت الهجرة أهمية المسجد في الإسلام ، فهو ركيزة فى بناء المجتمع ،

ولذلك فان الفساد الناشئ فى الأذواق الآن سببه غياب الدور الفعال للمسجد القوة فى الإسلام ترتكز على قوة العقيدة ثم قوة الساعد لذلك كان اهتمام الرسول ﷺ عند تأسيس دولته الاهتمام بأمر العقيدة ، ثم تمتين أواصر العلاقة بين أبناء الأمة ، فالدولة لا تنهض وتقوى إلا على سواعد أبنائها ، وتأخيهم وتألفهم ، وتعاونهم وتكافلهم مع بعضهم البعض .

*-من أهم ما قام به النبي ﷺ ما يتعلق بتحديد صلة الأمة بمن جاورها ، وما يتعلق بالقيمة الدستورية للوثيقة المبرمة فيما بين قبائل المسلمين ، وفيما بينهم وبين اليهود هو دليل هام بتعلق بمختلف الأحكام التنظيمية للمجتمع الإسلامي القائم على العدل والمساواة والحق ، وان أساس العلاقة بين المسلمين وغيرهم هو السلم ما سلموا .

*- المهاجرون وان تركوا ديارهم وأموالهم ، وتلك محنة فقد عوضهم الله خيرا إذا وجدوا فى الأنصار من روعة الاستقبال ، وكريم الحفاوة ما جعلهم يفتحون لهم قلوبهم قبل بيوتهم ويسعوهم بصدورهم قبل أموالهم ، ولقد تسابقوا الي بقائهم واقترعوا فيما بينهم بل إن مهاجريا لم ينزل على أنصاريا إلا بقرعة

وصدق الله ﴿ **وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ والإيمان مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ الحشر / ٩

وفى فضل الأنصار ومآثرهم نزلت الآيات الطوال ، وتحفظ دواوين السنة من كلام صاحبها الشيء الكثير على سبيل العموم والخصوص بتسمية احادهم حتى دورهم ومنازلهم وتوصية الرسول ﷺ بهم وثنائهم عليهم

من ذلك **حَدِيث أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْلا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنْ الأَنْصَارِ وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا وَسَلَكَتْ الأَنْصَارُ وَادِيًا**

أَوْ شِعْبًا لَسَلَكْتُ وَادِيَ الأَنْصَارِ أَوْ شِعْبَ الأَنْصَارِ [١] .

ويكفى الأنصار ما قاله النبي ﷺ فيهم قبل موته

روى عَنْ هِشَامِ بْنِ زَيْدٍ قَالَ سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ مَرَّ أَبُو بَكْرٍ وَالْعَبَّاسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بِمَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ الْأَنْصَارِ وَهُمْ يَبْكُونَ فَقَالَ مَا يُبْكِيكُمْ قَالُوا ذَكَرْنَا مَجْلِسَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَّا فَدَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ قَالَ فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ عَصَبَ عَلَى رَأْسِهِ حَاشِيَةَ بُرْدٍ قَالَ فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ وَلَمْ يَصْعَدْهُ بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ أُوصِيكُمْ بِالْأَنْصَارِ فَإِنَّهُمْ كَرِشِي وَعَيْبَتِي[٢] وَقَدْ قَضَوْا الَّذِي عَلَيْهِمْ وَبَقِيَ الَّذِي لَهُمْ فَاقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ [٣]

والخلاصة : إن حادث الهجرة والإعداد له ، كله عبر خالدة ودروس نافعة ، لأن الهجرة لم تتحقق وتؤتي ثمارها ، إلا بعد صراع مرير بين الإيمان والوثنية ، وبعد صبر وجلد ودأب من صاحب الدعوة ، وإيمان ويقين ممن أسلم قلبه لله ، وتحمل شدة الأذى من كفار قريش ، وإن ثبات المؤمنين على عقيدتهم بعد أن ينزل بهم الأشرار والضالون أنواع العذاب والاضطهاد دليل على صدق

---

١) البخاري كتاب التمني باب ما يجوز من اللو ح ٧٢٤٢، ح ٧٢٤٤

٢) كَرِشي وعَيْبَتي أراد أنهم بطانته وموضع سرِّه وأمانته والذين يَعتَمد عليهم في أموره واستعار الكَرِش والعَيْبة لذلك لأن المُجْترَّ يجمَع علَفه في كَرِشه والرجل يَضع ثيابه في عَيْبته وقيل أراد بالكَرِش الجماعة أي جَماعَتي وصَحابَتي ويقال عليه كَرِشٌ من الناس أي جماعة النهاية ٤ / ١٦٣

٣) البخاري كتاب المناقب باب قول النبي ﷺ اقبلوا من محسنهم وتجازوا عن مسيئهم ح ٣٧٩٩ ح ٣٨٠١ ومسلم كتاب فضل الصحابة باب من فضائل الأنصار ح ٢٥١٠

إيمانهم وإخلاصهم في معتقداتهم وسمو نفوسهم وأرواحهم ، بحيث يرون ما هم عليه من راحة الضمير واطمئنان النفس والعقل

وما يأملونه من رضى الله جل شأنه أعظم بكثير مما ينال أجسادهم من تعذيب وحرمان واضطهاد .

كما أن مفهوم الهجرة لا يقتصر على مغادرة الديار والانتقال إلى غيرها وإنما تكون أيضا في هجر بعض العادات والأخلاق الذميمة ، أو هجر بعض الأفراد لسوء سلوكهم أو لسوء تصرفاتهم مع غيرهم ، أو للبعد عن المبتدعه الذين يضيفون أو يغيرون من شعائر الدين ما لم يأمر به الله .

وقد يكون هذا الهجران سبيلا إلى إنقاذ الإنسان وتأمينا له من الأساليب الشيطانية التي تزين له السوء عمله .

فهرس ومراجع البحث

قائمة المراجع والمصادر

- **أولا : المصادر :**
- **القرآن الكريم.**

١. الأحاديث المختارة / أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد الحنبلي المقدسي ، المتوفى سنة ٦٤٢هـ ، تحقيق عبد الملك بن عبد الملك بن عبد الله بن وهبه ، ط. ١، مكتبة النهضة الحديثة : مكة المكرمة – ١٤١٠هـ .

٢. الاستيعاب في معرفة الأصحاب / لأبي عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبد البر ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، ط، دار الجيل : بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ = ١٩٩٢م

٣. الإصابة في تمييز الصحابة / أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، تحقيق : على محمد البجاوي ط، دار الجيل ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م .

٤. البداية والنهاية /للإمام أبي الفداء الحافظ ابن كثير ، تحقيق :أحمد أبو سالم ، ط، دار الريان : القاهرة .(د.ت) .

٥. تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادي ، أبي بكر أحمد بن على ، تصحيح محمد سعيد العرفي – ط ١– القاهرة ، مكتبة الخانجي .

٦. التاريخ الكبير / للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري المتوفى ٢٥٦هـ – ٨٦٩م ، تحقيق السيد هاشم النووي ، دار الفكر : بيروت .

٧. تحفة الأحوذي / محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبو العلا ، ط. دار الكتب العلمية : بيروت (د،ت) .

٨. الترغيب والترهيب / عبد العظيم بن عبد القوي المنذري أبو محمد ،

تحقيق : إبراهيم شمس الدين ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية : بيروت ، ١٤١٧هـ .

٩. التعريفات ، للسيد الشريف أبي الحسن على بن محمد بن علي الحسيني الجرجاني الحنفي المتوفى سنة ٨١٦ هـ ، ط. دار الفكر ، الطبعة الأولى – القاهرة ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م .

١٠. تعظيم قدر الصلاة / لأبي عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المروزي ،تحقيق د/ عبد الرحمن بن عبد الجبار ، ط، مكتبة الدار ، الطبعة الأولى – المدينة المنورة ، ١٤٠٦هـ .

١١. تفسير القرآن العظيم / للحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي ، تحقيق عبد العزيز غنيم ، ومحمد أحمد عاشور ، ومحمد إبراهيم البنا ، ط. دار الشعب .

١٢. تفسير القرطبي / محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله المتوفى ٦٧١هـ ، تحقيق / أحمد عبد العظيم البردوني الطبعة الثانية ، دار الشعب : القاهرة ، ١٣٧٣هـ .

١٣. التمهيد / أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد النمري الأندلسي المعروف بابن عبد البر المتوفى ٤٦٣هـ ، تحقيق : مصطفى بن أحمد العلوي ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية : المغرب سنة ١٣٨٧هـ .

١٤. تهذيب التهذيب / للإمام الحافظ شهاب الدين أحمد بن على بن حجر العسقلاني ،المتوفى سنة ٥٨٢هـ ، ط. الأولى ، دار الفكر / بيروت ، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م

١٥. جامع العلوم والحكم / للحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلي ، الطبعة الأولى ، مكتبة الرسالة الحديثة : عمان الأردن سنة ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م .

١٦. مسند أبي داود / للحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي ٢٠٢ – ٢٧٥هـ ، تحقيق صدقي محمد جميل ، ط. دار الفكر للطباعة :

لبنان ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .

١٧. سنن ابن ماجه / للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ٢٠٧ - ٢٧٥هـ ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الحديث : القاهرة ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .

١٨. سنن الترمذي / للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ٢٠٩- ٢٧٩هـ ، تحقيق أحمد شاكر ، ومحمد فؤاد عبد الباقي ، ط، دار الفكر للطباعة : لبنان ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .

١٩. سنن الدارمي / للإمام أبي محمد عبد الله بن بهرام الدارمي المتوفي سنة ٢٥٥هـ ، ط، دار الفكر : لبنان ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .

٢٠. السنن الكبرى / للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي المتوفي ٤٥٨هـ ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، مكتبة دار الباز : مكة المكرمة ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م

٢١. السنن الكبرى / للإمام أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي ، تحقيق عبد الغفار سليمان ، ط. الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية : بيروت ١٤١١هـ ، ١٩٩١م .

٢٢. سنن النسائي / بشرح الإمامين السيوطي والسندي ، للإمام الحافظ الحجة ، أحمد بن شعيب ، أبوعبد الرحمن النسائي ، تحقيق د/ السيد محمد سيد ، والأستاذ على محمد علي ، والأستاذ سيد عمران ، ط. دار الحديث - القاهرة١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .

٢٣. سير أعلام النبلاء / للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ،تحقيق : شعيب الأرنؤوط ط. الأولى: مؤسسة الرسالة : بيروت ، ١٤٠١هـ -١٩٨١م .

٢٤. السيرة النبوية / للإمام أبي محمد عبد الملك بن هشام المعافري

، تحقيق :طه عبد الرءوف سعد ، دار المنار : القاهرة .

٢٥. شذرات الذهب في أخبار من ذهب ،للمؤرخ الفقيه الأديب / أبي الفرح عبد الحي بن العماد الحنبلي المتوفى سنة ١٠٨٩هـ ، دار الكتب العلمية : بيروت

٢٦. شرح السنة / لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (٤٣٦-٥١٦هـ)، تحقيق : شعيب الأرنؤوط، زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي : بيروت سنة ١٤٠٠هـ المتوفى ١١٢هـ .

٢٧. شرح النووي على صحيح مسلم المسمى بالمنهاج / للإمام يحيى الدين بن شرف بن حسن بن حسين بن حزام النووي الشافعي ، حقق أصوله وخرج أحاديثه على الكتب الستة ورقمه حسب المعجم المفهرس وتحفة الأشراف /الشيخ محمد خليل شيحا ، ط، الثالثة ، بيروت : لبنان ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .

٢٨. صحيح ابن حبان / محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البتين المتوفى ٣٥٤هـ ، تحقيق : د. شعيب الأرنؤوط ،ط. الثانية ، مؤسسة الرسالة : بيروت ، ١٤١هـ - ١٩٩٣م .

٢٩. صحيح مسلم / للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري المتوفى ٢٦١هـ ،تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي : بيروت .

٣٠. طبقاتالحفاظ ، للسيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ، تعليق محمد زاهد الكوثري - ط ١ - دمشق ١٩٢٧ م

٣١. عمدة القاري على شرح صحيح البخاري / للإمام العلامة بدر الدين أبي محمد بن أحمد العيني ، الطبعة الأولى ، دار الفكر : القاهرة ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م .

٣٢. عون المعبود على شرح سنن أبي داود/ للعلامة أبي الطيب محمد شمس

الحق العظيم آبادي ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية : بيروت ، ١٤١٥هـ .

٣٣. غريب الحديث / لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي ، المتوفى سنة ٢٢٤هـ - ٨٣٨م ، تحقيق/ محمد بن عبد المعيد خان ، دار الكتاب العربي ، بيروت ط، الأولى ١٣٩٦هـ

٣٤. الفائق في غريب الحديث والأثر / الجار الله محمود بن عمر الزمخشري . المتوفى سنة ٥٣٨هـ، تحقيق /على محمد البجاوي ، دار المعرفة ، لبنان ، الطبعة الثانية .

٣٥. لسان العرب / للإمام جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور ، المتوفى سنة ٧١١هـ ، ط. الأولى ، دار المعارف - دار صادر : القاهرة - بيروت

٣٦. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد / للحافظ نور الدين على بن أبي بكر الهيثمي المتوفى سنة ٨٠٧هـ ، دار الريان للتراث ، دار الكتاب العربي ، القاهرة - بيروت ، ١٤٠٧هـ

٣٧. مختار الصحاح / للإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، ط.الأولى ، دار الكتب العلمية : الطبعة الأولى - بيروت لبنان ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .

٣٨. المستدرك على الصحيحين للإمام أبي عبدالله الحاكم النيسابوري ، وبذيله التلخيص للذهبي ، دار المعرفة ، بيروت (د.ت) .

٣٩. مسند أحمد / أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني ، المتوفى ٢٤١هـ ، ط. مؤسسة قرطبة - وله طبعة أخرى ، شرح وفهرسة : أحمد محمد شاكر .الطبعة الأولى ، مكتبة التراث الإسلامي : مصر ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .

٤٠. مسند الحارث وزوائد الهيثمي / للحارث بن أبي أسامة / واللحافظ نور

الدين الهيثمي ، تحقيق د/ حسين أحمد صالح الباكري ، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية ،المدينة المنورة ، ط. الأولى ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .

٤١. معالم السنن : للإمام أبي سليمان أحمد بن محمد الخطابي ، الطبعة الثانية ، منشورات المكتبة العلمية : بيروت – لبنان ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

٤٢. معجم البلدان / ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد اله ، المتوفى ٦٢٦ه ، دار الفكر : بيروت

٤٣. المعجم الكبير / للإمام الحافظ أبي القاسم سلميان بن أحمد الطبراني ، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي ، مكتبة العلوم والحكم ، الطبعة الثانية ، الموصل :العراق ، الثانية ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م .

٤٤. المغني / للإمام موفق الدين أبي محمد بن عبد الله بن محمد بن قدامة المقدسي الدمشقي المتوفى ٦٢٠هـ ، ط. هجر ، القاهرة .

٤٥. المفردات في غريب القرآن / للإمام أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ، دار الفكر ، وله طبعة أخرى ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان .

٤٦. النهاية في غريب الحديث والأثر / للإمام مجدي الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري بن الأثير المتوفى ٦٠٦هـ ، تحقيق : طاهر أحمد الزاوي ، المكتبة العلمية : بيروت ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

٤٧. نيل الأوطار من أحاديث سيد الخيار شرح منتقى الأخيار / للإمام محمد بن علي الشوكاني ، المتوفى سنة ١٢٥٥هـ ، دار الجيل ، بيروت١٩٧٢م

٤٨. وفيات الأعيان وأبناء الزمان / للإمام أبي العباس شمس الدين أحمد بن أبي بكر بن خلكان ، المتوفى سنة ٦٨١هـ ، تحقيق د/ إحسان عباس ، ط، دار صادر ك بيروت ، ١٣٩٧هـ

٤٩. بيان للناس / الشيخ جاد الحق على جاد الحق ، مطبعة الأزهر الشريف : القاهرة .

٥٠. تفسير في ظلال القرآن / سيد قطب ط.١ دار الشروق : القاهرة .
٥١. سلسة الأحاديث الصحيحة / للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ط.٢ ، مكتبة المعارف ، الرياض ، الجزء الثالث .
٥٢. السيرة النبوية / العلامة المرحوم أبو الحسن الندوي ، دار عمر بن الخطاب ، المكتبة العصرية ، د.ت .
٥٣. مجلة الأزهر ، شهرية جامعة ، تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية .
الهجرة في الإسلام / د. محمد البابلتي ، المكتب الإسلامي : بيروت ، ١٤١٦هـ = ١٩٩٦م.
٥٤. فقه السيرة / محمد عبد الحميد السيوطي ، دار الفكر ، القاهرة